بسم الله الرحمن الرحيم

نحنُ و القرآن

ومتغيرات عصر المعرفة

نحن والقرآن ومتغيرات عصر المعرفة / محمد عدنان سالم.
- دمشق: دار الفكر، ٢٠١٦.- ١٢٠ص ؛ ٢٤سم.

ISBN : 978-9933-10-989-9

١- ٢١١ س ا ل ن ٢- العنوان ٣- سالم

مكتبة الأسد

محمد عدنان سالم

نحنُ و القرآن

ومتغيرات عصر المعرفة



نحن والقرآن

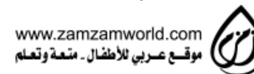
محمد عدنان سالم

الرقم الاصطلاحي: ٢٤٧٧.٠١١
الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-989-9
الرقم الموضوعي: ٢١١ (القرآن وعلومه)
١٢٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم
الطبعة الأولى : ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م



دار الفكــر – دمشــق
☎ ٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣

دار الفكر المعاصر – بيروت
☎ ٨٦٠٧٣٩ ١ ٠٠٩٦١



http:/www.fikr.com – e-mail:fikr@fikr.net

أصل هذا الكتاب

بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني

للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

فاس ١ - ٣ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ =

١١ - ١٣ أبريل ٢٠١٣م

بعنوان

آفاق خدمة النشر

في الدراسات القرآنية

المحتوى

مقدمات لابد منها

الباب الأول
خدمة النص القرآني

الباب الثاني
خدمة علوم القرآن الكريم

الباب الثالث
خدمة النشر الإلكتروني الشامل للنص القرآني وعلومه

❀ ❀ ❀

مقدمات

لابد منها

١

الكتاب والقرآن

الكتاب: خزانة المعارف الإنسانية، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف، كي ينطلق الخلف منها، ويبني عليها؛ موفراً على نفسه عناء التكرار والإعادة.

و (الكتاب) إذا أطلق، فإنه يعني كلمة السماء. ففي الصحف الأولى بدأت الأرض تقرأ سطور الحضارة.

وليس شيء في الدنيا أشرف ولا أقدس من (الكتاب).

وكلُّ ما يتصل بالكتاب، أو يشتق لغوياً منه، أو يتعامل معه؛ صناعة أو استهلاكاً، فإنه يستمد منه هذا الشرف وهذه القداسة.

ولقد تكرر ذكر مصطلح (الكتاب) في القرآن الكريم أكثر من مئتي مرة، كما تكرر ذكر (القلم) وما يَسطر، و(الكلمة) الطيبة، وحق (التلاوة)، فضلاً عن مصطلحات: القراءة، والتدبر، والعقل، والنظر، والتفكر، والسمع، والبصر، والفؤاد، بوصفها وسائل المعرفة الموصلة إلى (العلم).

وأما مصطلح (أهل الكتاب) فقد تكرر في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة.

والأديان السماوية التي أطلق عليها القرآن الكريم مصطلح (أهل الكتاب)؛ ثلاثة:

أولها: اليهودية، وكتابها (التوراة)، العهد القديم، وهو الألواح التي تلقاها موسى (كليم الله) عليه السلام، من الله عز وجل.. تكرر وروده في القرآن الكريم ثمانية عشر مرة.

وثانيها: النصرانية، وكتابها (الإنجيل) الذي بعث به عيسى ابن مريم صارخاً ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف: ٦١/٦].. تكرر لفظه في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة.

وثالثها: الإسلام، وكتابه (القرآن)، الذي أنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ، ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٣٩/٢٨].. تكرر لفظه في القرآن سبعين مرة.

* لم يقيض لليهودية والنصرانية أن تحتفظ كل منهما بكتابها موثقاً كما نزل من عند الله، فلا ألواح موسى (التوراة)، ولا كتاب عيسى (الإنجيل)؛ وصلا إلينا بصيغة واحدة معترف بها، فقد كتبا بعد زمن طويل من نزولهما، واختلفت رواياتهما باختلاف الرواة الذين كتبوهما، فاعتراهما كلُّ ما يعتري تعدد الروايات من التحريف!!

وحده القرآن الكريم وصل إلينا؛ مكتوباً موثقاً محفوظاً﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ١٥/٩].

* كانت رسالة كل من موسى وعيسى، عليهما السلام، موجهة إلى بني إسرائيل، وكان بنو إسرائيل وحدهم المخاطبين بهما.. وحدها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، كانت موجهة إلى كل الناس؛ من كل الأعراق والأجناس، نادى بهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٧/١٥٨].

و **(القرآن)** آخر كتاب تلقته البشرية من السماء؛ يمثل الثابت من القيم،

والفرقان من الكلم، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق من كثرة الرد، وهذا هو سرّ إعجازه. وبذلك بقي (القرآن) وسيبقى ملهماً للبشرية في أجيالها المتعاقبة؛ يرتشف منه كل جيل ما يضيء له السبيل، ويرتقي بفهمه وتفسيره له، على قدر ارتقاء معرفته ونمو طاقته العلمية.

* أكد القرآن وحدة الرسالات السماوية كلِّها، ودعوتَها الموحدة إلى توحيد الله تعالى، وإفرادِه بالعبودية ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٢٢/ ٧٨]، كما اعترف بكل الأنبياء السابقين - خلافاً لليهود الذين أنكروا نبوة عيسى، مثلما أنكروا نبوة محمد من بعد - ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٦].

* لم يلغ القرآن ما كان قبله من الديانات، ولم يحرِم أتباعها من الجنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٦٢].

* ألغى القرآن الوساطة بين الله والإنسان، وجعل العلاقة مباشرة بينه وبينه، فلا كهنوت فيه ولا أحبار ولا رهبان ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٦]، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٠/ ٦٠].

* أنهى القرآن عصور الخوارق والمعجزات؛ معلناً بلوغ الإنسانية رشدها ونضوجها، وتجاوزها الحاجة إلى المعجزات لإثبات صدق أصحاب الرسالات: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ

عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٥٠-٥١].

* وببلوغ الإنسانية رشدها، انقطعت حاجتها إلى الوحي، فأعلن القرآن الكريم ختم النبوة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٤٠]، وعهد إلى الإنسان بمتابعة كفاحه لإثبات جدارته بحمل المسؤولية التي تصدى لها: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٧٢].

ولقد كان انقطاع الوحي من السماء، بمثابة الإجازة العلمية للعقل البشري كي يبدأ بالعمل، وكان إعلاناً عن محو (الأمية)، وإيذاناً ببداية عصر (العلم).

* إنه الإسلام (**سلة الأديان**)؛ المشتمل عليها والجامع لها جميعاً، دين التوحيد الخالص، والإيمان برب العالمين، ووحدة الأصل الإنساني، والدعوة إلى التعايش والتسامح والتكامل بين الشعوب، وقبول الآخر والاعتراف بحقه في الاختلاف، والحوار المتكافئ معه ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[الزخرف: ٤٣/ ٨١].

٢

القرآن وألف عام من القراءة الخاوية

* نقرأ القرآن في صلواتنا؛ أداءً لفروض مكتوبة وسنن مندوبة، لا نأتمر بمعروف أمرنا به، ولا ننتهي عن منكر نهانا عنه، لأننا لا نعي كلمة مما قرأناه فيها..

نقرأ وردنا اليومي من القرآن؛ همنا آخر الصفحة، لنسجل ختمة للقرآن؛ لا ننتفع منها بآية، ولا نفكر بمعنى..

نستمع إلى القرآن؛ تصدح به عشرات الفضائيات المتخصصة بتلاوته؛ نطرب لصوت القارئ؛ لا نجشم أنفسنا عناء قراءة المعاني المذيلة بهامشه..

نقرؤه على قبور موتانا.. نقرؤه في مجالس عزائهم.. نتوزع أجزاءه لنسجل ختمة جماعية نهب ثوابها لهم.. نقرؤه للتبرك، ونهمل الاهتداء بهديه..

نقرؤه؛ عرباً نزل بلغتنا ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ١٢/٢] كما يقرؤه أي أعجمي؛ لن تستطيع أي ترجمة له إلى لغته المحلية، أن تقدم له مواطن إعجازه..

* ألِمثل هذه القراءات أنزل ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٥].؟!

أبمثل هذه القراءات بنى الجيل الأول أسرع حضارة في التاريخ الإنساني، وعهد إلينا بتبليغ رسالتها للعالمين إلى قيام الساعة؟!

أبمثل هذه القراءات سنستطيع المحافظة على أجيالنا في المهاجر؛ نجرعهم إياها صغاراً، وتتولى البيئات التي تحتضنهم إبعادهم عنها كباراً، بحسب مناهجها التي تقوم على الفهم والنقد والتساؤل؟!

أبمثل هذه القراءات، نقرأ نصوصنا الأدبية والعلمية، ونستطيع أن نتفهم مضامينها ونتذوقها؛ لنضيف إليها وننميها؟!

هل بمثل هذه القراءات سنستطيع الدخول في عصر المعرفة، واستثمار أدواته للغوص في أعماق القرآن وتفجير معانيه المتجددة؟!

* يجيبنا القرآن بسؤاله المثير: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد: ١٦/٥٧]، وباستنكاره الموجع: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤/٤٧]، وبشكوى كتابه المريرة: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠/٢٥]، مؤكداً لنبيه المصطفى: أنه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩/٣٨]، ومقدماً لنا نموذج القراءة الذي يقوم به بناة الحضارات ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١/٢].

فما حق التلاوة؟ وما التدبر الذي يجب أن نفتح أقفال قلوبنا له؟!

❀ ❀ ❀

منهج جديد لقراءة القرآن وتدبره

* ألا وإن حق تلاوة القرآن: أن نهتم بمضمونه كما نهتم بالشكل.. كلاهما مهم لأداء حق التلاوة..

أن نقوِّم ألسنتنا بتجويد ألفاظه؛ ننطق بها كما نطق بها الرسول ﷺ؛ نخرج بها من اختلاف لهجاتنا المحلية، إلى لهجة موحدة تحت راية القرآن، فذلك هو إتقان الشكل..

وأن نلتفت - في الوقت ذاته - إلى وعي المضمون، فلا يليق بنا، ونحن نتلو كتاب الله، أن نردده كالببغاوات؛ تردد الأصوات ولا تعرف شيئاً من معانيها..

لنضع لقراءتنا للقرآن منهجاً جديداً؛ نتدرج به في الغوص على المعاني؛ فنضع لكل ختمة نبدؤها، هدفاً:

نبدأ ختمتنا الأولى بتحري معاني ألفاظ القرآن؛ نستعين لها بتفسير مبسط؛ يشرحها لنا على هامش الصفحة..

ونبدأ ختمتنا الثانية بتفسير وجيز يعطينا المعنى الكلي للآيات مع أسباب نزولها..

وفي ختمتنا الثالثة نستعين بتفسير وسيط، وفي الرابعة بتفسير أوسع، وفي خامسة نبحث لبعض ما أشكل علينا، عن آراء مختلفة في تفاسير أخرى، وفي سادسة نغوص في الأعماق لنستنبط - على بصيرة - ما استجد في الآفاق والأنفس من معاني القرآن، ولنصنع لأنفسنا تفسيرنا الخاص، محرراً من الإسرائيليات التي تغص بها بعض التفاسير، ومما فات أوانه من مفاهيم القرون السالفة.

على الرغم من كون القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، فإن أبديَّته بوصفه الرسالة السماوية الخاتمة، قد دعت إلى سموِّه فوق مدارك البشر في لحظة التنزيل، ليظل كما وصفه الرسول ﷺ: «إن هذا القرآن هو حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه؛ لا يعوج

فيقوَّم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد»
[ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه].

لقد نشأت الحاجة إلى تفسير القرآن منذ عصر التنزيل، فكان صحابة الرسول يفهمون ظواهره، ويسألون الرسول عن بواطنه في حياته، وبعدما التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، توسع المسلمون في تفسير القرآن؛ ليظل القرآن يزود كل جيل من الأجيال باحتياجاته العلمية والثقافية؛ بحسب مستواه المعرفي..

ونشأت للتفسير مدارس؛ بدأت بمدرسة التفسير بالمأثور، تلتها مدرسة التفسير بالرأي، ثم توالت مدارس التفسير: الاعتزالي، والصوفي، والفلسفي، والفقهي، والإشاري، والعلمي، إلى أن جاءت مدارس التفسير المعاصر المتعددة، وآخرها مدرسة التفسير الموضوعي التي لا تزال محاولات أولية تتناول موضوعات محددة في القرآن، نتطلع بواسطتها إلى مزيد من الحفر حول كنوز القرآن.

ولسوف نقدم أهم التفاسير مرتبة بحسب وفيات مفسريها؛ مع الإشارة إلى المدرسة التي ينتمي إليها (في الملحق رقم ١).

أحسب أنني بذلك أقدم مشروعاً جديداً لعلاقة المسلم بالقرآن؛ تجعله حياً فاعلاً يمشي على الأرض بما ينفع الناس، ويجعل المسلم متفاعلاً معه في صلاته، خاشعاً لخالقه في تلاوته؛ يقرأ كتابه كأنه ينزل عليه!!

٣

قرآن عربي لأمة مسلمة

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١٤/٤]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ٤٦/١٢]، نزل به الروح الأمين جبريل على مسامع الرسول العربي في غار حراء في مكة المكرمة؛ لينذر به ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [الشورى: ٤٢/٧] في خطاب عالمي ﴿يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ١٩/٩٧]؛ أصبحت بموجبه مكة المكرمة، أمَّ القرى وسرة الأرض؛ يتوجه المسلمون إليها من كل أنحاء العالم في صلاتهم، خمس مرات كل يوم، ويحج كل مسلم إليها مرة في العمر، في الموسم السنوي الذي أذن به إبراهيم أبو الأنبياء ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٢/٢٧-٢٨].. فكان أعظم وأقدم وأخلد مؤتمر في تاريخ الإنسان، مازال يكبر ويتعاظم عاماً بعد عام!!

لم تحُل اللغة العربية التي نزل بها القرآن دون بلوغ دعوته إلى كل أجناس البشر، وأن تحتل مكانتها اللائقة بها، وبكتابها المقدس، وأن تكون لغة عالمية معترفاً بها رسمياً من بين ست لغات للتخاطب في هيئة الأمم المتحدة، لما تتسم به هذه اللغة من دقة وتنوعٍ واستيعاب في مخارج حروفها، وتمييز لمدودها بين قصير يؤدى بالحركاتٍ وطويل يؤدى بأحرف المد، وقابلية للاشتقاق والتصريف والتصوير، لا تتوفر للغات الأخرى..

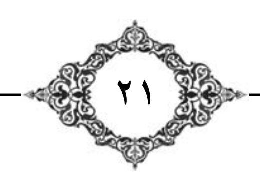
فما واجب المسلم الديني؛ عربياً كان أم أعجمياً، تجاه لغة كتابه المقدس (القرآن) الذي لا تصح صلاته إلا بها؟! وما واجب العربي التي هي لغته القومية تجاهها؟!

أما الواجب الديني الذي لا بد للمسلم فيه من الأذان للصلاة بالعربية، ومن قراءة الفاتحة وبضع آيات من القرآن في صلاته اليومية بلغته الأصلية (العربية)؛ فقد يكتفي للقيام به بحفظ ما لا تصح صلاته إلا به عن ظهر قلب، وقد يكتفي بتلاوة بعض سور من القرآن بالعربية لمجرد التبرك بها؛ يستوي في ذلك العربي والأعجمي.. أما الغوص في معانيه، ووعيه بوصفه دستور المسلم ومحور حياته، فإذا كان غير العربي يستطيع أن يحصل على مبتغاه منه بترجماته المتعددة إلى لغته، من دون أن يتذوقه ويستمتع بإعجازه وطلاوة لغته وأسلوبه، فهل يليق ذلك بالعربي الذي أكرمه الله بتنزيل القرآن بلغته؟!

هذا عن المقدس، وأما الجانب القومي المتعلق بالإنسان العربي؛ فالحديث عنه يتفرع فرعين اثنين:

أولهما يتعلق بالعربي ولغته التي ضيعها في أوطانه، ينبئك عن ذلك لافتات في الشوارع هجرت الحرف العربي إلى حرف لاتيني هجين، وعبارات كتبت على صدور الفتيان والفتيات وظهورهم بالحرف الأجنبي؛ لا يدرون ما تعنيه، ولغة متبادلة على الفيسبوك وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي؛ اختلطت فيها العامية بالعربية والأجنبية بلا قاعدة ولا هوية، وعربية منقوصة بين أيدي المثقفين والمتعلمين؛ سُكنت فيها أواخر الكلم، وغابت عنها القواعد فأصبح الفاعل منصوباً والمفعول مرفوعاً.

وثانيهما يتعلق بالعربي المهاجر، وخاصة إلى أميركا التي تستقبله بالأحضان؛ فغالباً ما يكون من المتفوقين النوابغ الذين لم تستوعبهم بلدانهم، تستثمر نبوغه، وتتلقف أبناءه جيلاً بكراً؛ تمنحه الجنسية



الأمريكية بالولادة، لتصوغه طبقاً لثقافتها؛ رضيعاً تتابع نموه، وإجراءات أمانه، ولقاحاته، وغذاءَه؛ لا تنقطع صلتهم به وبوالدته عند خروجها من مشفى التوليد.. ثم طفلاً تتولى فطامه عن أصوله؛ تتعهد لغته التي ينبغي أن لا تشوبها لكنة قد تعلق بها من لغة آبائه، وألا تزاحمها لغة أخرى تستميل لسانه ولهجته إليها، وتخرجها عن صفائها، وتتعهد مناهج تعليمه التي تتمحور حول تاريخ أمريكا، واكتشافاتها، وعلومها، واختراعاتها، وجذورها الحضارية الأوربية، وصورة قاتمة مشوهة عن العالم العربي والإسلامي، تحنطه عند قصص علاء الدين، وتعرض تخلفه، متجاهلة تطلعاته إلى اللحاق بالركب الحضاري العالمي، وإسهامه برفده وتنميته، بل وجاهدة في العمل على إطالة أمد تخلفه، وإثارة الفتن فيه، للإبقاء عليه سوقاً مفتوحة لتصريف منتجاته!!

هذه لمحة موجزة عن واقع قراءتنا للقرآن؛ عرباً وأعاجم، بلغته التي أنزل بها، وواقع اللغة العربية التي نزل بها القرآن؛ في عقر دارها وفي المهاجر، فأما قراءة العربي للقرآن في وطنه، فقد رسمنا منهجاً لتغييرها[1]، وأما قراءة أطفاله للقرآن في المهجر؟! فيجب الاهتمام أولاً بتمكين لغتهم العربية جنباً إلى جنب مع الإنجليزية؛ حرصاً على توثيق صلتهم اليومية بالقرآن الكريم؛ تلاوة وتدبراً، وعلى اطلاعهم على تاريخهم الإسلامي من معينه الصافي باللغة العربية، وعلى التواصل مع الثقافة العربية المتجددة، وإسهامهم في تنميتها، ولا بد لذلك من وضع نظام صارم لحصر التحدث بها في المنزل، والاستعانة ببرامج قوية لتعلُّمها من جهة، والإصغاء المشترك إلى برامج بالعربية في المنزل، لتعويد أسماعهم عليها؛ كالأناشيد الدينية الحديثة المختارة، وتلاوات القرآن المجودة

---

(١) رَ: القرآن وألف عام من القراءة الخاوية (ص١٥) وفي الفصل الثالث (حق التلاوة) ص٥٤.

والمفسرة، والقنوات التلفزيونية العربية المميزة، والحد من مشاهدتهم للمسلسلات الأجنبية، وخاصة المشبوهة منها!!

- وبالقدوة الصالحة: فلا يجوز أن يطلب الأهل من أبنائهم ما لا يلتزمون به في حياتهم الاجتماعية ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٤٤].. لا يجوز أن يقوم الأهل بتقديم التنازلات تلو التنازلات في علاقاتهم الاجتماعية وممارساتهم اليومية، ثم يطلبون من أبنائهم الالتزام بما لم يلزموا به أنفسهم..

- وبالإقناع والحجة والاصطبار والحوار؛ يمكن أن نصل مع أطفالنا إلى ما نصبو إليه؛ بقناعة منهم ورغبة، من دون أي إكراه؛ سوف يتجاوزونه حتماً، متى شبوا عن الطوق.

- وبالاعتزاز بإسلامنا من دون انتقاص للآخرين، وتعويد أطفالنا على قبول الآخر المختلف، والحوار معه دون الاندماج فيه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١٠٩/ ٦]، والانطلاق من المشترك الإنساني والكلمة السواء مع أهل الكتاب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣/ ٦٤]..

- وبالإصغاء إلى أسئلة الأطفال، وخاصة في مرحلة المراهقة؛ مهما كانت غريبة أو جريئة، ومحاولة تفهمها والبحث عن أجوبة مقنعة لهم عنها، من دون قمع ولا إسكات، فذاكرتهم في موطنهم الجديد بكر، وخالية من قناعاتنا الأحادية التي تزودنا بها من أوطاننا الأصلية، ومناهج البحث التي يتلقونها في وطنهم الجديد، تشجعهم على التعدد والاختلاف والتساؤل؛ وعلينا التكيف معها؛ فنحن أولى بالشك من إبراهيم الذي قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٠].

- وبتجنب إغراقهم بالغيبيات، وحصرِ توجيهاتهم لهم بالجنة والنار والآخرة؛ فالآخرة في عقيدتنا تسير مع الدنيا جنباً إلى جنب: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠١] والدنيا فيها هي دار العمل ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك: ٦٧/ ٢]، والآخرة هي دار البقاء والخلود ﴿وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٤٠/ ٣٩].

- وبتحصينهم من الانبهار بالحضارة الغربية، وتدريبهم على الأخذ بإيجابياتها مما ينفع الناس، وتجنب سلبياتها، والإسراف في متع الحياة الدنيا وزخرفها إلى حد الترف المفضي إلى هلاك الأمم ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/ ١٦]، ولفت نظرهم إلى التوازن الخلاق لدى الإنسان المسلم ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣١]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٩]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣٢].

٤

الدراسات القرآنية والمناخ الملائم لازدهارها

«إن أكبر مصدر للطاقة لا يقدم لنا من القوة ما يقدمه كتاب صغير»[١].

والكتاب كلمة، والكلمة إنما تستمد قوتها من الحرية.. منها تكسب صدقيتها، وفي مناخها تظهر فعاليتها وتأثيرها، وبها تتمايز فتكون ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ، تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾، أو تكون كلمة خبيثة ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم ١٤/ ٢٤-٢٦]. ومن احتكاك الكلمة الطيبة مع الكلمة الخبيثة وتصادمهما تنبثق بارقة الحقيقة، وينمو الفكر، ويزيد الله في الخلق ما يشاء: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الرعد: ١٣/ ١٧].

هكذا يكون التعدد والاختلاف وحرية الرأي والتعبير فطرة الله التي فطر الناس عليها، والمناخ الملائم لتقدم الإنسان، ولأجل ذلك عدَّ الله تعالى الاختلاف آية من آياته، وغايةً للخلق ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾ [هود: ١١/ ١١٨-١١٩].

وبانتفاء التعدد والاختلاف، يخرج الإنسان عن غاية خلقه، ويعقم

---

(١) (مقولة لليف فلا ديمير).

فكره؛ إذ النماء لا يكون إلا بالتزاوج، ولولا التعدد لعم الفساد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥١] و﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٢٢/ ٤٠].

وفي غياب التعدد تنحرف الكلمات عن معانيها فترى الناس ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٥/ ١٣]، وتنقلب الكلمات إلى أقوال يعوزها التطبيق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٦١/ ٢-٣]، أو تقال بالإكراه تقيةً، والقلب مطمئن إلى ضدها ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٦/ ١٠٦].

ويذكر لنا القرآن الكريم فرعون، نموذجاً للتفرد والاستبداد، يكرره في ٧٤ آية، ليحذرنا من الركون إلى نظائره من الأنظمة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٢٨/ ٣٨]، ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٤٠/ ٢٩]، ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٥١]. ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٥٤]، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٥٥-٥٦].

ولعل من أهم نتائج التفرد تغليب الشكل على المضمون، والكم على الكيف؛ وهو ما يبدو واضحاً في موضوعنا عن الدراسات القرآنية؛ إذ نلاحظ في ظل هذا المناخ، اهتماماً بالرسم القرآني، ومعاهد تحفيظ القرآن، وفضائيات تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وتركيزاً على الزخرفة والتلوين في الطباعة وأحكام التجويد، وإقبالاً من الزعماء على طباعة مصاحف تحمل أسماءهم، وشيوعَ ظاهرة إهداء المصاحف في المناسبات؛ حتى تكدست المصاحف في البيوت؛ تشكو الوحشة والهجر، وتخصصت لتلبية الطلب المتزايد عليها مطابع ودور للنشر.

ولعل مما يبعث على الريبة في هذا الاهتمام الشكلاني بالقرآن، ما نلمس وراءه من تهميش واستبعاد لنصوصه من مناهج التعليم والكتب المدرسية والشواهد النحوية، واقتصارها على الدراسات الدينية.. وما نلمسه كذلك من تضاؤل الاستشهاد بآياته في القضايا العامة والدراسات المنوعة، بعد أن كان محوراً لحياة المسلم وفكره ونشاطه اليومي.

وإذ أحمِّل حقبة التفرد والاستبداد مسؤولية إقصاء القرآن عن حياة المسلم، وإحاطتِه بهالة من التقديس؛ تحنطه إذ تخرجه عن دائرة الفعل، فإني أرى عودته الفاعلة إلى ضمير الإنسان المسلم؛ أولوية قصوى لأجيال الغد المنتظر، ومسؤولية كبرى في أعناق الناشرين العربِ والمسلمين.

لقد بذلت الأجيال الأولى جهوداً خارقة في خدمة القرآن الكريم؛ كتابة ورسماً، وتفسيراً وقراءات، وبحثاً عن أسباب النزول، وإعراباً وبلاغة وإعجازاً؛ أضافت إليها الأجيال التالية إضافات تتفاوت بحسب مكتسباتها المعرفية المستجدة.

غير أن مسؤولية الجيل الراهن لخدمة القرآن الكريم واستخراج مكنوناته؛ تتضاعف:

١- نظراً للتحدي الكبير الذي خلقته جهود العلمنة الطاغية من جهة، وانحراف الخطاب الإسلامي عن منهجه الدعوي من جهة أخرى.

٢- ولطول أمد التخلف والكلالة الذي عانت منه الأمة في مسارها خارج دورتها الحضارية.

٣- وللإمكانات الكبيرة التي أمدته بها ثورتا المعلومات والاتصالات، ويسرت له سبل البحث والتحليل والإحصاء.

٥

مستقبل الدراسات القرآنية وأسئلة عصر المعرفة

في حياة البشرية - منذ أن ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١/٧٦] - تحوُّلات كبرى؛ تقلَّب فيها من عصر الصيد، إلى عصر الرعي، إلى عصر الزراعة، إلى عصر الصناعة.. كان في كل تحولٍ منها، يبدِّل أدواته، ووسائله، وطرق إنتاجه، فتتبدل معها عاداته وتقاليده وعلاقاته وقيمه، ويتضاعف إنتاجه خمسين ضعفاً عما كان عليه في العصر السابق.

والكتاب أحد وسائل الإنسان التي رافقت التحولات كلها، وتطورت معها، مستفيدة من تقنياتها الجديدة كلها؛ من الرمز إلى الحرف إلى النقش على الحجر، إلى الكتابة على الطين والعظام وجلود الحيوانات، وسعف النخيل، إلى الكتابة على الورق منذ اكتشافه، إلى الطباعة منذ غوتنبرغ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم الكتاب، وكل ما يتصل به من صفات وأدوات ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤/٢١]، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨/٢٩]، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧/٦]، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ١٣]. ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١/٦٨]، و﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩/١٨].

الآن؛ والعالم يشهد أعظم تحوُّلٍ في تاريخ البشرية؛ من عصر الصناعة إلى عصر المعرفة، في طريقه إلى عصر الحكمة-الذي سيختتم به وجوده على هذه الأرض، وكفاحه المرير لأداء الأمانة التي تصدى لحملها، بعد أن أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها- كيف سيتكيف مع هذا العصر ومستجداته ومتغيراته ومتطلباته؟!

العصر الصناعي، كان يعتمد على الأشياء المتمثلة في الآلة والمواد الأولية، وعلى العمالة اليدوية، وكل منها متفاوت الوجود بين الأمم، أما عصر المعرفة فهو يعتمد على الأفكار والعمالة الفكرية، والفكر موزع بين الأمم بالتساوي، يفوز بالسباق فيه من كان أكثر إعمالاً لعقله!!

«إنه التغيير غير المسبوق في الطبيعة الإنسانية؛ أول مرة يمتلك الخيارات عدد كبير من الناس؛ يتزايد بسرعة.. أول مرة يدير الناس أنفسهم بأنفسهم،والمجتمع لم يتهيأ لذلك بعد»(١).

ولعل السبب الرئيسي في الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة، أن العالم الذي يعيش الآن عصر المعرفة ما يزال يدير مؤسساته بعقلية العصر الصناعي. «إن منظومة التفكير التي كانت سائدة في العصر الصناعي.. لن تعمل في عصر عمال المعرفة والاقتصاد الجديد»(٢).

وربما كان التحدي الكبير الذي يواجهنا، ونحن نحاول رسم مستقبل الدراسات القرآنية، الأسئلة التي يطرحها التحول إلى عصر المعرفة الرقمي:

- فكيف ستفهم أجيال عصر المعرفة الطي الرقمي للكتب؟ والكتاب المسطور في رَقٍّ منشور؟! والخط باليمين؟ والسطر بالقلم وبالمداد؟ بعد

---

(١) العادة الثامنة؛ ستيفن كوفي، دار الفكر، ص٣٩.
(٢) العادة الثامنة، ستيفن كوفي، دار الفكر، ص٤٣.

أن أصبح القلم أزراراً تكتب بأحرف من نور، وأصبح الرَّق المنشور شاشة افتراضية تبرز لقارئها من جواله المحمول في الهواء الطلق؟!

- وكيف ستكون تلاوتهم للقرآن وتدبرهم له، وقد أمدهم جهازهم الصغير بكل ما يطمحون إليه من الوسائط من صوت ولون وصورة، وقدرة فائقة على الحركة والتقدم أو الاسترجاع، والتفرع؛ تفسيراً وكلمات ونظائر ومعاني؟!

- هل ستكون قراءتهم أوعى؟ وهل سيكونون الأقدر على الاستيعاب والتطبيق والدعوة والتبليغ؟!

- هل ستنحو الدراسات القرآنية منحى الدراسات الفقهية؛ فتحتفظ بمصطلحات القرون الأولى؛ كالقلة والصاع والذراع الهاشمي في المقاييس، واستعمال الحجر والخرقة والتراب في التطهير، واشتراط الحرية (بمعنى عدم الرق) في الحاكم؟!

- كيف ستتعامل الدراسات القرآنية المستقبلية، مع النصوص القرآنية التي انقضت الحاجة إليها لزوال مقتضاها؛ كالرق الذي جفف القرآن ينابيعه؛ فلم ترد فيه آية واحدة عن الاسترقاق من جديد، بينما فتح الأبواب مشرعة على مصراعيها لتحريره؟!

٦

خدمات النشر المرجوَّة في المرحلة المقبلة

١- الخروج بإصدارات دور النشر وأبحاثها من حالة التقليد والتكرار والاجترار التي تعيشها، إلى حالة استثمار أدوات عصر المعرفة؛ الإنتاجية والتسويقية، وتوظيفها في خدمة القرآن الكريم.

٢- ابتكار أساليب جديدة في قراءة القرآن الكريم، تعين المسلم على التحول بها من نمط القراءة اللفظية- التي تهتم بالتهام أكبر عدد من الصفحات المقروءة، لتسجيل أكبر عدد من الحسنات مقابل كل حرف فيها- إلى قراءة التدبر التي ندبنا القرآن الكريم إليها، وحذرنا من إقفال قلوبنا دونها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٤٧/ ٢٤]. وعدَّ ذلك علامةً على الإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢/ ١٢١]. وهي التلاوة التي كانت للجيل الأول، كما يحدثنا ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات؛ لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن» [مسند أحمد ٢٣٤٨٢].

ولم يخل الجيل الأول من قراءةٍ صماء يحدثنا عنها ابن عمر «لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، لا يدري

ما آمِرُه ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده؛ ينثره نثر الدَّقَل[(١)]» [المستدرك على الصحيحين ج١ ص٣٥].

وأدوات العصر، واللحظة الحضارية الراهنة للأمة؛ كفيلتان بإنجاز هذا التحول.

وربما كانت معاجم المعاني التي تصنف الآيات بحسب معانيها؛ من أهم الدراسات التي ينبغي الالتفات إليها وتطويرها[(٢)].

٣- ابتكار أساليب جديدة في تحفيظ القرآن للناشئة؛ ترتب محفوظاتهم، بحسب طاقتهم على استيعاب معانيها، وليس على الترتيب المقلوب لأجزاء المصحف بدءاً بجزئه الثلاثين. فالطفل أقدر على استيعاب القصص القرآني الغزير والسهل والمحمَّل بالمعاني الكبيرة، من استيعابه لمعاني بعض السور القصار. وربما دخل بعض الناس في قبره قبل أن يتعرف معنى ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ١١٣/٣].

٤- فتح باب الاجتهاد في التفسير المتجدد لكتاب الله تعالى، وعدم الوقوف عند التفاسير القديمة بذريعة قربها من عصر التنزيل، فكتاب الله تعالى «لا تنقضي عجائبه» كما وصفه رسول الله ﷺ [أخرجه الحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث عبد الله بن مسعود]، وهو متجدد «ولود» كما وصفه محمد إقبال؛ يعطي كل جيل من الأجيال بحسب طاقته واحتياجاته المعرفية.

---

(١) الدّقل: أردأ التمر.

(٢) رَ: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، بسام رشدي الزين ومحمد عدنان سالم؛ دار الفكر دمشق- ط٣/ ٢٠١٠.

البَابُ الأَوَّلُ

خدمة النص القرآني

- الفصل الأول: الرسم القرآني
- الفصل الثاني: القراءات
- الفصل الثالث:التّلاوة
- الفصل الرابع: الحفظ
- الفصل الخامس: تعليم القرآن للأطفال

الفصل الأول

الرسم القرآني

مما لا شك فيه أن الرسم العثماني للمصاحف التي بين أيدينا اليوم يختلف عن الرسم العثماني لمصحف عثمان بن عفان ﵁، وكلاهما مختلف عن الرسم الإملائي المتداول بأشكاله المختلفة المتطورة جيلاً بعد جيل..

والسؤال الملح المطروح الآن هو: هل رسم المصحف توقيفي؟ أم هو اجتهادي قابل للتطور؛ يمكن أن يواكب التغييرات والتحسينات المتتابعة التي ما زالت تطرأ على الرسم والخط على مر الزمن؟!

وإذا كان الرسم توقيفياً؛ فمن ذا الذي أوقفه؟ ومتى وعند أي كَتبة توقف؟ وهل يتوجب على الأجيال المتعاقبة دائماً أن تتعلم رسمين: أحَدهما للمصحف الذي تقرأ به القرآن، والآخرَ لسائر المعارف والعلوم التي تتلقاها؟!

وهل ثمة علاقة بين الرسم التوقيفي للقرآن، وما يحفِل به من زيادة وحذف وإبدال، وبين معاني الألفاظ ودلالاتها في سياق آياتها؛ بحيث يؤدي الرسم معنى إضافياً زائداً على المعنى المعجمي للفظ؟!

وهل ينسحب إعجاز القرآن في لفظه على إعجاز في رسمه، كما تخيله ابن البناء المراكشي (٦٥٤-٧٢١هـ) في كتابه الموسوم: (الدليل من مرسوم خط التنزيل)؟!

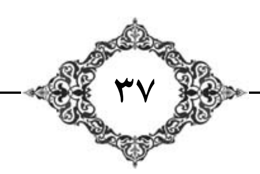
وهل التقدم العلمي، والأدوات التي وضعها عصر المعرفة اليوم في أيدي الباحثين؛ سوف تطوي صفحة الجمود الفكري الذي اكتنف الدراسات القرآنية دهراً، وتلهم الباحثين أوجهاً للإعجاز القرآني، لم يكن اكتشافها متاحاً للسابقين؟!

وقبل الخوض في الإجابة على هذه التساؤلات، أود أن أستعرض بعض تجارب شخصية حولها:

في عام ١٩٥٩م، تعاقدت دار الفكر التي أشرُف بإدارتها مع السيد عبد الحميد الخطيب؛ سفير المملكة العربية السعودية في سورية، على طبع تفسيرٍ له في ثلاثين جزءاً، حرص على إيراد الآيات المفسرة فيه في زاوية كل صفحة، يحيط بها التفسير فيما تبقى من الصفحة، وأصر على رقن الآيات بالحرف المطبعي العادي، وبالرسم الإملائي المعتاد.. فاستهجنتُ ذلك للوهلة الأولى، ورحت إلى أستاذي الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، شيخ قراء دمشق يومها، أسأله عن جواز ذلك. فكان جوابه رحمه الله: «القرآن الكريم نزل وحياً يحفظ في صدور الرجال، بالتلقي جيلاً بعد جيل، ولك أن تكتبه بالإملاء الذي تريد مع العناية الواجبة لكتاب الله تعالى». وطُبع التفسير يومها بقواعد الإملاء الشامي، ووُزِّع من دون أن يثير حفيظة أحد أو استغرابه.

وذات يوم في مطلع القرن، سألني صبي في الثانية عشر من عمره: لماذا لا تضعون لنا النقطة والفاصلة في المصحف؛ يقصد علامات الترقيم الدارجة، فقلت له إن للمصحف علامات خاصة للوقف مفصلةً في آخره، فقال الصبي بنزق: لا أفهمها.

ويبدو أن العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) قد تنبه لحاجة الصبيان إلى رسم إملائي للمصحف فأباحه لهم لأغراض التعليم؟!



الكَتبة الأولى

أول من جمع القرآن بين لوحين أبو بكر رحمه الله، وعهد بذلك إلى زيد بن ثابت.

قال زيد فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال،ومن الرقاع، ومن الأضلاع، ومن العسب، ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ لم أجدها عند أحد،فوجدتها عند رجل من الأنصار ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٢٣]. فألحقتها في سورتها، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات،ثم كانت عند عمر حتى مات، ثم كانت عند حفصة.

قال حذيفة لعثمان: «سمعت الناس اختلفوا في القرآن. . فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلي إلينا بالصحف فننسخْها في المصاحف ثم نردها إليك.. فعهد إلى زيد ومعه أربعة من الصحابة بنسخ الصحف على لسان قريش، فنسخوها ورد عثمان الصحف إلى حفصة»(١).

وأكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية بواحدة منهن، فوجه نسخة لكل من الكوفة والبصرة والشام، وأمسك عنده بواحدة.

«سئل مالك رحمه الله: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقال: لا إلا على الكتبة الأولى.. ولا مخالف له من علماء الأمة»(٢).

غير أن هذه الكَتبة الأولى لم تلبث - عند نسخها في الأمصار- أن

---

(١) المقنع في معرفة مرسوم أهل الأمصار: أبو عمرو الداني، دار الفكر بدمشق ط١٩٨٣ (ص٢-٤).

(٢) المقنع ص٩، البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص ٤٥٩- دار الفكر بيروت ط٢٠٠٥.

تنوعت؛ من حيث نوع الخط وتطوره؛ الذي احتفظت لنا المتاحف بالكثير منه بين مجرد عن النقط ومنقوط؛ كلاهما تعسر قراءته، ومن حيث الزيادة والحذف في الرسم، فيعقد أبو عمرو الداني لذلك في المقنع بابين؛ أحدَهما لما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار من أول القرآن إلى آخره(١).

وباباً آخر لما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف(٢).

نقط المصحف وشكله

ظلت المصاحف زمن الصحابة والتابعين خالية من النقط والشكل، إلى أن أحدث الناس ما أوجبه؛ عندما سمع أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) رجلاً يقرأ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩/٣] بكسر لام الرسول، فاستعظم ذلك وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم اختار رجلاً من عبد القيس، فأملى عليه شكل حروف المصحف حتى أتى على آخره(٣).

ثم جعل الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) الهمز والتشديد والروْم والإشمام، واقتفى الناس أثرهما، وانتشر ذلك في البلدان؛ أخذه أهل المدينة من أهل البصرة، وعنهم أخذ عامة أهل المغرب والأندلس، وانتشر في سائر المصاحف العراقية والشامية(٤).

وبين أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) والرماني (ت ٣٨٤هـ) ثمة خمسة

---

(١) المقنع ص٨٣-٩٢.

(٢) المقنع ص٩٢-٩٩.

(٣) المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الداني، دار الفكر بدمشق، ط ١٩٩٧/٢ ص٩.

(٤) المحكم ص٩.

عشر إماماً، كتبوا في نقط المصحف، لم يصلنا من أسفارهم شيء، ليظل أبو عمرو الداني (المتوفى ٤٤٤هـ)[١] في المقنع والمحكم مرجعَنا في نقط المصحف بالإعجام وشكله بالحركات، تلك الفترة.

وعلى الرغم من كراهية الصحابة أن يُخلط القرآن بشيء، فقد روي عن مالك قوله: لا يزال الناس يسألونني عن نقط القرآن؛ فأقول: أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها.. وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم، فلا أرى بذلك بأساً[٢].

لكن للزركشي رأياً آخر يقول فيه:

«وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.. قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حي غض.وأما الآن فقد يخشى الإلباس. ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى، باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال»[٣].

وإذ رخَّص أبو عمرو الداني نقط المصحف (وهو الإعجام)، فقد نهى عن نقطه بالسواد من الحبر ولم يستجزه، واستحب بدلاً منه استعمال صبغ يخالف المداد، فلا يحدث في المرسوم تغييراً ولا تخليطاً، وقد استعمل نقّاط أهل المدينة الحمرة للحركات والسكون والتشديد والتخفيف، واستعملوا الصفرة للهمزات خاصة.

أما الشكل بالحركات، فقد رأى أبو بكر بن مجاهد قصره على

(١) أبو عمرو الداني: عالم أندلسي برع في علوم القرآن، ولد في قرطبة عام ٣٧١ وتوفي بدانية عام ٤٤٤هـ. وله: المقنع والمحكم في نقط المصاحف.

(٢) المحكم ص ١١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي- دار الفكر بيروت ط٢٠٠٥، ١/ ٤٦٠.

ما أشكل وليس على كل حرف، فإنما يقع الشكل على ما إذا لم يُشكل التبس.ولو شُكل الكتاب كله لأظلم[١].

ونقل أبو عمرو عن الأوزاعي القول: «كان القرآن مجرداً في المصاحف. فأول ما أحدثوا فيها النقط على التاء والياء،وقالوا: لا بأس به، هو نور له. ثم أحدثوا فيها نقطاً عند منتهى الآي. ثم أحدثوا الفواتح والخواتم»[٢].

ويمضي أبو عمرو في محكمه، في تبيان طريقته في التعبير بالنقط والألوان عن إعجام الحروف ونقطها بالسواد، وعن الحركات بكل ما فيها من إشباع واختلاس، وتسكين، وتشديد، ومد، وتنوين، وإدغام، وعن الهمزات؛ بكل ما فيها من قطع، ووصل، وتطرف،وتوسط.

الزيادة والحذف

وفي المقنع، يفصل لنا أبو عمرو مواضع الحذف في رسم المصحف، بادئاً بالألف التي هي أكثر الحروف حذفاً، ثم الياء والواو. ومواضعَ الزيادة، للألف والواو والياء،ورسمَ الهمزة،وهاءات التأنيث، وما يرسم منها بالتاء المبسوطة.وغير ذلك من اختلافٍ في الرسم القرآني عن الرسم الإملائي.

ثم يعقد فصلاً مطولاً لما اتفقت مصاحف أهل الأمصار على رسمه؛ بادئاً بحذف الألف من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١/ ٤] في فاتحة الكتاب.. وفصلاً آخر مطولاً لما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف؛ بادئاً بحذف ياء إبراهيم حيثما وردت في البقرة، وإثباتها في سائر السور بعدها، ومتتبعاً جميع

(١) المحكم ص٢٣.
(٢) المحكم ص١٧.

ما اختَلف في رسمه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل المدينة وأهل الشام، ولم يكن عدده باليسير.

ويعقد بعد ذلك فصلاً يسوِّغ لنا فيه هذا الاختلاف، مؤكداً أن عثمان ﵁ لما جمع القرآن في المصاحف، ثبت عنده «أن هذه الحروف من عند الله عز وجل، كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعُلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالا خفاء به. ففرقها في المصاحف لذلك. فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها؛ لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سُمعت من رسول الله ﷺ. فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»[(١)].

وبذلك يطوي لنا أبو عمرو صفحة توقيف رسم المصحف؛ عند ما ابتكره من نقط لتمييز الحروف وشكلها بالحركات، وعلى ما فيه من اختلاف في الرسم،ليكون أمراً مسلماً به، ولتبدأ بعده صفحات جديدة تستكشف الأسرار الكامنة وراء هذا الرسم التوقيفي.

الأسرار الكامنة وراء الرسم العثماني

ظلت الدراسات التي يقدمها العلماء لظواهر الرسم القرآني- لغوية كانت أم فنية - تتعلق بالتأريخ للمراحل التي مر بها الرسم، ومواقفِ الصحابة والتابعين من التحسينات التي طرأت عليه من حيث الإعجامُ بالنقط والشكلُ بالحركات، إلى أن وضع أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي الشهير بابن البناء المراكشي (٦٥٤-٧٢١هـ) كتابه في الكشف عن الأسرار التي تضمنها الرسم العثماني،والذي سماه:

(١) المقنع: أبو عمرو الداني، دار الفكر- دمشق ط١٩٨٣- ص١١٥.

(الدليل من مرسوم خط التنزيل)[١]، فردَّ فيه اختلاف رسم الكلمات لأحد سببين: إما لاختلاف معنى الكلمة في الآية التي ترد فيها، أو لمعانٍ تتعلق بمراتب الوجود والمقامات «وذلك لحكم خفية وأسرار بهية، والخط إنما يرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي»[٢].

وجعل المراكشي تعلق المعاني بتلك الأصوات على حسب موقعها في جهاز النطق؛ فالهمزة عنده تدل على الأصالة لأنها من أصل الصوت. والألف تدل على الكون بالفعل وبالفصل. والواو تدل على الظهور والارتقاء. والياء تدل على البطون، فهي مخصصة؛ لأنها من رقة الصوت وانخفاضه في باطن الفم.

وراح العلماء الذين تابعوا المراكشي في مذهبه، كالزركشي (ت ٧٩٤هـ) يتفننون في تعليل ظواهر الرسم سواءً في باب الحذف أم الزيادة أم البدل أم الفصل والوصل، حتى طغت على أحاديثهم وتواليفهم، واستمروا يرددونها، ويبنون عليها حتى وقتنا الحاضر..

فإذا زيدت الألف في أول كلمة، مثل ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢٧/ ٢١] فإنما ذلك تنبيه على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المتقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب[٣].

وقد تسقط (الألف) في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٥] فإنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود[٤].

(١) مخطوط، ذكر الزركلي في الأعلام أنه اطلع عليه. كما ذكره الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ).
(٢) البرهان في علوم القرآن: للإمام الزركشي، دار الفكر بيروت ط٢٠٠٥، ١/ ٤٦١.
(٣) البرهان ١/ ٣٨١.
(٤) البرهان ١/ ٤٦٣.



وزيدت الألف بعد الهمزة في حرفين: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ [المائدة: ٥/ ٢٩]، ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ [القصص: ٢٨/ ٧٦] تنبيهاً على تفصيل المعنى، فإنه يبوء بإثمين من فعل واحد، وتنوء المفاتح بالعصبة، فهو نوءان للمفاتح، لأنها بثقلها مالت وأمالتهم..[١].

وكذلك ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [هود: ١١/ ٩٧] زيدت الألف، تنبيهاً على تفصيل مهم ظاهر الوجود. ومثله زيادتها في ﴿مِّاْئَةُ﴾ لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين آحاد وعشرات[٢].

وأما الواو فقد زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان مثل ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٤٥] فالآية جاءت للتهديد والوعيد[٣].

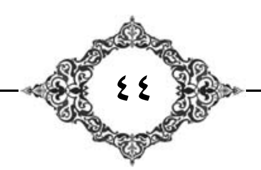
وأما الياء فزيدت لاختصاص ملكوتي باطن، وذلك في تسعة مواضع، كما قاله في المقنع؛ إحداها: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٥١/ ٤٧] قال أبو العباس المراكشي (ابن البناء): إنما كتبت بياءين فرقاً بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين الأيدي جمع يد، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود[٤].

وأما ما نقص من اللفظ

«فكل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود: تحذف إن كان للكلمة اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور علوية

---

(١) البرهان ١/ ٤٦٤.
(٢) البرهان ١/ ٤٦٥.
(٣) البرهان ١/ ٤٦٦.
(٤) البرهان ١/ ٤٦٧.



مما لا يدركه الحس،وتثبت إن كان للكلمة اعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم، أو أمور سفلية.

واعتبر ذلك في لفظتي (القرآن) و(الكتاب). فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب. والقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٤١/٣] ولذلك ثبت في الخط ألف (القرآن) وحذفت ألف (الكتاب).

وكل ما في القرآن من (كتاب) فبغير ألف إلا في أربعة مواضع ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ١٣/٣٨]، و﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ١٥/٤]، و﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ١٨/٢٧]، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٧/١] فالكتاب فيها جميعاً أخص من الكتاب المطلق، أو المضاف إلى الله»[(١)].

لقد كان أبو العباس ابن البناء المراكشي ذا ميل شديد إلى العلوم الرياضية والعقلية؛ وأكثر مؤلفاته فيها. وكان ذا اتجاه صوفي وجداني، ينزع إلى الاستبطان والتأمل الذاتي، ومن خلال ثقافته تلك وصل إلى ذلك التفسير الباطني لظواهر الرسم.

❁ ❁ ❁

وعلى الرغم من الصورة المنطقية التي يعرض فيها ابن البناء مذهبه، والتي استهوت الكثيرين من بعده، وأسرتهم فوجهوا بحوثهم إليها، وجمدت اجتهادهم حولها.. فإن من الواضح أن هذه الصورة بعيدة كل البعد عن طبيعة الموضوع، فلم يدر في خلد الصحابة- رضوان الله عليهم- شيء من تلك المعاني التي حاول أبو العباس أن يعلل بها رسم الكلمات

---

(١) البرهان ١/ ٤٦٩.

في المصحف، بصورتها الفلسفية الباطنية الغامضة،ولم يكن الهدف الأول لتسجيل النص القرآني سوى تمثيل ألفاظ التلاوة التي من خلالها- لا من خلال الرسم- تتجلى معاني القرآن العظيم.

وقد مرت قرون طويلة على كتابة القرآن دون أن ينقل أحد شيئاً من تلك المعاني. حتى جاء المراكشي ليكشف عنها بتأمل ذاتي باطني غامض متكلف،بعيد كل البعد عن طبيعة الكتابة التي هي وسيلة لتخليد الألفاظ الدالة على المعاني، دون أن يكون للكتابة- أصلاً- أي دور في تحديد المعنى أو الإيحاء بمعانٍ دقيقة عن طريق التصرف في هجاء الكلمات وتحويره.

هكذا يتضح لنا أن الأساس الذي قام عليه منهج أبي العباس المراكشي في دراسة ظواهر الرسم،وتابعه الناس عليه حتى يومنا هذا، أساس مردود، إلى جانب أن التعليلات التي أوردها لاختلاف صور هجاء بعض الكلمات، توقع أحياناً في تناقض حاد، فإذا سلمنا- مثلاً- بأن علة حذف الواو في ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٤٢/٢٤]، سرعة وقوع الفعل، فهل يدل إثباتها في ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ١٣/٣٩] على التراخي في المحو والإثبات.

وإذا انتقض الأساس انتقض سائر ما بني عليه. وإن نتيجة واحدة يقود إليها الدليل العلمي الواضح، خير وأجدى في فهم المشكلة من كل ما قاله المراكشي، ورددته وراءه أجيال من العلماء.

وإن الرسم الحالي للقرآن، لا يعدو أن يكون مرحلة من مراحل الرسم التي نقلتها لنا المخطوطات منذ الكتبة الأولى التي طورتها الأجيال وأضافت إليها تحسينات كثيرة، فهل يجب الوقوف عندها؟! أم يجوز تمحيصها والإضافة إليها استثماراً لإمكانات العصر الراهن.

زبدة القول في الرسم القرآني

«لم يكن رسم المصحف يختلف في شيء عما كان يستعمله الناس في غير المصحف من الخط.. وهناك جملة نصوص ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين تدل على ذلك»(١).

«وقد صار مصطلح الرسم في مجال الدراسات القرآنية يدل على الجانب الذي يهتم بكيفية كتابة الكلمات في المصحف، من حيث عدد الحروف ونوعها، لا من حيث أشكال الحروف وصورها»(٢).

«وغايته تصوير الأصوات العربية بحروف مرسومة،وتخصيص كل صوت برمز كتابي يدل عليه»(٣).

و «إننا لا نكاد نتصور اللغة دون صورتها الكتابية، لما للكتابة من أهمية فائقة في الحياة البشرية»(٤).

«لقد واجهت الكتابة العربية - حين استخدمت لتدوين القرآن الكريم - أول فرص الاستخدام الواسع في عمل ضخم يستغرق مئات الصفحات، بعد أن كانت حبيسة استعمالات محدودة؛ لا تتيح توحيد القواعد ليلتزمها الكتاب فيما يكتبون»(٥).

«وكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان»(٦) - كما رأى ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) - فلما كتب الصحابة المصحف بخطوطهم، «خالف الكثيرُ من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة

---

(١) رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية: غائم قدوري الحمد، ص١٥٥.
(٢) [المصدر نفسه ص١٥٦].
(٣) [المصدر نفسه ص١٥٧].
(٤) [المصدر نفسه ص١٦٠].
(٥) [المصدر نفسه ص١٦١].
(٦) مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر، ٢/ ٨٨٢.

الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه، كما يُقتفى خط وليٍّ أو عالم تبركاً.. فاتُّبع ذلك وأثبت رسماً، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه».

ولا يُلتفت إلى ما يزعمه البعض من أن مخالفة خطوطهم لأصول الرسم لها وجه «ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم، أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط.. إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية.. والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق»[١].

ولقد ارتقت الإجادة في الخط، مع ارتقاء الدولة الإسلامية وازدياد الفتوحات، فبلغت في الكوفة والبصرة درجة من الإتقان، والخط الكوفي منسوب إليها. ولما اختط بنو العباس بغداد ترقت الخطوط فيها، وخالفت أوضاع الخط الكوفي، في الميل إلى إجادة الرسم وجمال الرونق.. «إلى أن رفع رايتها ببغداد ابن مقلة الوزير (ت ٣٢٨هـ)، ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب (ت ٤٢٣هـ)، ووقف سند تعليمها في المئة الثالثة وما بعدها، وبعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهت إلى المباينة.. وطما بحر العمران والحضارة.. ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب، وأجيد كَتبها وتجليدها.. وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه»[٢] فنالَ المصحفَ من هذه الإجادة، كلٌّ

---

(١) المصدر السابق ص٨٨٣.

(٢) المصدر السابق ص٨٨٤.

ما تعلق بحسن الخط، ونقط الحرف، وشكله بالحركات، وعلامات الوقف، والفواصل بين الآيات والسور، وعدِّها، والتجزئةِ إلى أرباع وأخماس وأجزاء وأحزاب، والتلوينِ لأغراض شتى، والتذهيبِ والزخرفة بأجمل الزخارف.

لقد تقبل علماء الأمة وعامتها ذلك كلَّه بوصفه من العناية التي تليق بكتاب الله تعالى. ما عدا ما يتعلق بالزوائد والنواقص والإبدالات؛ التي سبق الحديث عنها، فقد توقفوا عندها، وأضفوا عليها من القداسة ما فصل بين النص المكتوب، والنص المتداول المستخدم يومياً في حياة المسلمين؛ تلاوة، واستشهاداً في محادثة أو محاضرة أو خطبة أو رسالة أو كتاب.

فلا يمكن لخطيب يستشهد في خطبته بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧/٥١] أن يخطر له معنى للأيْد غير معنى القوة، ولا حاجة به إلى إضافة ياء أخرى إلى الأيد ليميز بينها وبين الأيدي جمع يد- كما يتكلف ابن البناء-.

هذا فضلاً عن اللبس الذي قد يوقعه به الرسم العثماني، في مثل قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم: ٥٧/٥٣]، و﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ٤٠/ ١٨]. فيقرؤها همزة بفتحة دون مدّ لغياب المدّ عنها.

فما مسوِّغ الإقبال على تحسين كتابة المصحف من كل الوجوه، والضنِّ عليه بتخليصه من هذه الإشكالات في الرسم؟! وقد نزل القرآن ليرافق البشرية حتى نهاية وجودها على الأرض، فلماذا الوقوف بكتابته عند جيل مضى بإمكاناته الكتابية المحدودة التي تجاوزها الزمن؟!

تلك مسألة جوهرية يجدر الاهتمام بها، للإسهام في خدمة كتاب الله تعالى، ومواكبته لاحتياجات العصر ومستجداته.

ولسوف ينجم عن مسألة الرسم الإملائي إشكالات جديدة، فأي إملاءٍ سيعتمد؟! الإملاء الشامي أم المصري؟ وكلاهما زاحف متغير خاضع للاجتهاد والتطوير، ولا بد أن تكون هذه الإشكالات موضوع أبحاث يستكتب لها الخبراء والمتخصصون من المؤلفين.

الفصل الثاني

القراءات المتواترة

على الرغم من تأكيد علماء القراءات أن «القراءات القرآنية (المتواترة) جميعاً؛ قرأ بها النبي ﷺ أصولاً وفرشاً، وقد تلقاها عنه أصحابه من بعده،وأقرؤوا بها الناس. وأنها بذلك أصبحت توقيفية لا مجال فيها لأدنى اجتهاد»[١]. فإن أحداً من هؤلاء العلماء لم يقل بأننا متعبدون بقراءتها جميعاً.

«ولم يترسخ علم القراءات،ولم يبدأ التأليف العلمي به قبل القرن الرابع الهجري، حين ألف الإمام المقرئ ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) كتابه (السبعة في القراءات))»[٢] وكان علينا أن ننتظر خمسة قرون بعده حتى يجيء ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ليرفع القراءات المتواترة إلى عشر في كتابه الشهير (النشر في القراءات العشر)[٣]،ثم انعقد الإجماع بعد ذلك على عدِّ ماعدا هذه القراءات شاذاً لا يعتد به.

«من المتفق عليه لدى الأمة بمجموعها أن القرآن؛ إنما يؤخذ بالتلقي والمشافهة، وأن الوثيقة المكتوبة ليست مرجعاً نهائياً لرواية القرآن، بل هي

---

(١) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني..، محمد الحبش، دار الفكر دمشق ١٩٩٩، ص٢٦.

(٢) القراءات المتواترة ص٧٠.

(٣) القراءات المتواترة ص٧٦.

محض آلة مساعدة، وأن العمدة في القراءة والإقراء على التلقي بالتواتر»[١].

لكن هذا الإجماع لم يضعف من أهمية كتابة المصحف، التي بدأت بكتابة الصحف في عصر الرسول ﷺ وبأمر منه، ثم بجمعه في مصحف واحد في عهد أبي بكر، ثم بتوحيد كَتبته،وبثه في الأمصار في عهد عثمان.

وإذ كانت كتبة مصحف عثمان غير منقوطة، فقد تركت الباب مفتوحاً لتعدد القراءات في الرسم الواحد، في مثل ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٨٣] فيقرؤها ابن كثير (يُرجَعون)، ورويس (يُرجِعون)، وروْح (تَرجِعون)، والباقون (تُرجَعون)[٢].

لقد بلغت أوجه الخلاف بين القراءات نحو ألفي كلمة، وكلها يحتمله رسم واحد إلا في تسعة وأربعين موضعاً، لا بد من تعدد الرسم فيها ليتم استيعابها.

لكن التحسينات التي أدخلت على رسم المصحف، وتلقاها المسلمون بالقبول، وشيوعَ المصحف الموافق لرواية حفص عن عاصم في أغلب بلدان العالم الإسلامي اليوم؛ قلصا هذه الاختلافات على نحو كبير:

١- **فتحسينات التشكيل**؛ ذهبت بكثير من القراءات المتواترة من النص القرآني، ومثالها في سورة البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ٨٥/ ١٥] بضم دال (المجيدُ)،وهي قراءة جمهور القراء، غابت بها قراءات متواترة بالخفض، لكل من حمزة، والكسائي، وخلف.

٢- **وتحسينات التنقيط**؛ ذهبت بجملة أخرى من القراءات المتواترة، ومثالها في سورة الرعد ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٣/ ١٦]. بتاء

(١) القراءات المتواترة ص٩٤.
(٢) القراءات المتواترة ص ٩٢.

المضارعة،وهي قراءة الجمهور، فغابت قراءة حمزة والكسائي وخلف بياء المضارعة (يستوي).

٣- **وتحسينات ضبط الفرش**، التي تمثلت في إثبات الألف الخنجرية، وإثبات الحروف المتروكة،وإثبات الهمزات.. غيبت الكثير الكثير من وجوه الاختلاف:

أ- مثال الألف الخنجرية: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢/ ٩]، غابت بها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو يَخْدَعُونَ.

ب- ومثال الأحرف المتروكة: التي أضيفت مصغرة فوقها لإشعار القارئ بوجوب التلفظ بها:

- الواو: في مثل قوله تعالى: ﴿دَاوُۥدُ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥١].
- الياء: في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٢٧/ ٣٦].
- النون: في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٨٨].

ج- ومثال الهمزات: ﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ﴾ [القصص: ٢٨/ ٣٤]، غابت بإثبات الهمزة قراءة نافع (رداً يصدقني).

٤- **وتحسينات ضبط الأداء**: إثبات علامات المد فوق الأحرف الواجب مدها؛ ألفاً أو واواً أو ياء، أو صلة، وإثبات علامات التجويد من إدغام وإخفاء وإظهار.. قد أسهمت بلا ريب في تحسين أداء العامة لأحكام التجويد، لكنها في الوقت نفسه غيبت وجوهاً متواترة في الأداء(١).

وهكذا انتهى الأمر بالعالم الإسلامي؛ إلى أن المصاحف المطبوعة المتداولة اليوم، تكاد تنحصر في أربعة؛ هي مصاحف: حفص، وقالون،

---

(١) رَ: القراءات المتواترة (باب أثر الرسم العثماني في ضبط القراءات) ص٩٢-١١٧.

وورش،والدوري، وكلها منقوط ومشكول بما يوافق رواية كل منهم. والمصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم؛ هو الأكثر تداولاً؛ حتى في البلدان التي ما زالت تتبنى قراءات أخرى.. وحسبنا أن نسخ القرآن العظيم التي تطبع في العالم الإسلامي اليوم، ويتجاوز عددها آلاف الملايين؛ لا يختلف بعضها عن بعض في كلمة أو حرف أو نقطة أو شكل»[(١)].

كأني بعامة المسلمين؛ يوجهون عملياً حركة النزوعِ إلى توحيد القراءات في قراءة واحدة؛ وترك مسألة القراءات؛ متواترة أو غير متواترة، إلى أهل الاختصاص.. خاصة وأن اللهجاتِ التي تقرأ بها لم تعد مستخدمةً في الأجيال اللاحقة.

والباحثون معنيون بتلبية توجُّهات جمهور المسلمين،وتأصيل هذه التوجهات وترسيخها، والالتفات إلى «فهم المعاني واستخراج الحكم، واستخلاص الحلول للمشكلات المستجدة»[(٢)].

(١) القراءات المتواترة ص٢٥.

(٢) القراءات المتواترة ص٥٨.

الفصل الثالث

حق التلاوة

يروي الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح][(١)].

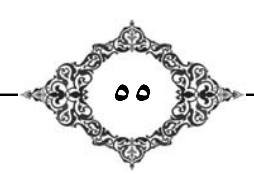
ثم يتحدث عن عادات السلف في ختم القرآن؛ بدءاً بمن كان يختِمه كل شهرين مرة، وانتهاءً بمن كان يختِم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات كل يوم.

وعلى الرغم مما يعدده الإمام النووي من آداب تلاوة القرآن، وأهمية تدبره وترتيله، فإن القراءة الشائعة للقرآن عند المسلمين اليوم وعلى مر العصور؛ إنما هي قراءة الشكل والكم، بقصد تسجيل أكبر عدد من الحسنات، مقابل عدد الأحرف التي يقرؤونها، فإذا قرؤوا كان همَّهم آخرُ الصفحة وآخر الجزء، من دون أي وعي أو إدراك لما يقرؤون. و«رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»؛ يقرأ: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١١/١٨]، وهو ظالم لنفسه.

وما يعنيني في هذا البحث، حث الناشرين، وخاصةً ناشري القرآن

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: الإمام يحيى بن شرف النووي، دار السلام، القاهرة ط٥/ ٢٠٠٨.



الكريم وعلومه، على تلمس الطرق الناجعة للتحول بالمسلمين من قراءة الكم إلى قراءة الكيف، ومن قراءة الشكل إلى قراءة المضمون .﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ٥٧/١٦]، ولقد نزلت هذه الآية، والمسلمون ما يزالون حديثي عهد بالقرآن؛ يتلقونه وحياً منجماً مواكباً للأحداث الجارية لهم، تحذيراً لهم أن يحذوا به حذو الذين أوتوا الكتاب من قبلهم.

ولعل في حديث زياد بن لبيد ما يصوِّر لنا دهشة المسلمين من هذا التحذير المبكر:

قال زياد: ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: «وذلك عند أوان ذهاب العلم»، قلنا يا رسول الله: وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟! قال: «ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة. أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل؛ لا ينتفعون مما فيهما بشيء؟!»(١)، وفي هذا الحديث يتبين لنا الأفق الحضاري البعيد، ومرحلةُ التكلس التي سترتكس إليها الأمة خلال دورتها الحضارية، عندما تهتم بالشكل، وتسترخي عقولها عن وعي المضمون.

ونرى الصورة ذاتها في قصة محمد إقبال مع أبيه الذي كان كلما رآه يقرأ القرآن، يسأله: ماذا تفعل؟ فيجيبه: أقرأ القرآن..

فلما استغرب إقبال تكرار السؤال ذاته من أبيه والجوابِ ذاته منه.

قال له: يا بني: إنما أردتُ أن أقول لك: «اقرأ القرآن كأنه ينزَّل عليك».

---

(١) مسند الإمام أحمد: دار الفكر بيروت ط١/ ٢٠٠٩- الحديث رقم ١٧٤٨٠.

فإن نحن عدنا إلى القرآن ذاته، نستلهمه الطريقة التي يريدنا أن نقرأه بها، لم نجد فيه إلا الحث على التدبر والتفكر والعمل بما نقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢/١٢١]. ويوضح حق التلاوة متسائلاً مستنكراً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٤٧/٢٤]. ومؤكداً أن التدبر هو هدف التنزيل ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [ص: ٣٨/٢٩].

لا شك في صعوبة تغيير عادة متجذرةٍ في الأمة قروناً طويلة، ومستندةٍ إلى تفسير قاصر للنصوص.. لكن وسائط عصر المعرفة، وتقنيات الاتصال التي تعددت بين يدي الإنسان وأتاحت له تقليب النص على سائر وجوهه، ثم العودةَ إلى السياق لمتابعته قبل أن يقوم من مقامه؛ كلاهما كفيل بتذليل كل الصعاب، إذا وجدت الإرادة، وصحَّ عزم الإنسان المسلم على أداء دوره الحضاري المنشود[1].

وذلك باب يجب أن يقتحمه الباحثون لتعزيز ثقافة الفعالية لدى المسلمين، فيما يُنشر من مصاحف ومن دراسات قرآنية.

---

(١) رَ: القرآن وألف عام من القراءة الخاوية، ص ٦.

الفصل الرابع

الحفظ في الصدور

صدور الرجال كانت الوعاء الأول لحفظ القرآن الكريم. وعلى الرغم من انتشار المصاحف المطبوعة وعاءً موثقاً خاضعاً للرقابة المشددة مخافة التحريف، فإن حفظه في الصدور كلّه أو بعضه ما يزال مطلباً شرعياً؛ لتكتمل به أسانيد الرواة؛ وصولاً إلى رسول الله ﷺ من جهة، ولتلبية احتياجات المسلم الحياتية من جهة أخرى؛ لأداء صلاته،وتقويم لغته، وترشيد سلوكه، وتصحيح معاملاته.. فالقرآن الكريم هو المرجع الأساسي والمحور الذي تدور عليه حياة الإنسان المسلم.

«يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» [رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو][(١)].

ويروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً؛ فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً، فقال:«ما معك يا فلان؟» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم.. قال: «اذهب فأنت أميرهم»[(٢)].

---

(١) سنن أبي داود. الحديث رقم ١٤٦٤، دار الفكر بيروت- ط ٢٠٠٧.

(٢) سنن الترمذي. الحديث رقم ٢٨٨٥، دار الفكر بيروت- ط ٢٠٠٨.

ويأمرنا الرسول ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن! والذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من أحدكم، من الإبل من عَقْلِه»[١].

وأكثر ما يكون التفلت، بالانتقال من سورة لأخرى، عند آية مشابهة.

وتقوم اليوم في أنحاء العالم الإسلامي معاهد لتحفيظ القرآن، لا تألو جهداً في تعهد شباب المسلمين بالحفظ، مع التجويد وضبط مخارج الحروف، وشيء من التفسير؛ تمنح فيها الشهادات، وتعقد لها المسابقات، وتوزع الجوائز.

كما تقوم بعض دور النشر بإصدار مصاحف معِينة على الحفظ، باستخدام الألوان؛ لتمييز أوائل الآيات أحياناً وخواتيمها أحياناً، ولتمييز مقاطع الموضوع الواحد في الآيات المتعددة أحياناً أخرى. وبالتزام بدء الصفحة بمطلع آية جديدة.

وما يزال الباب مفتوحاً أمامهم لابتكار أساليب جديدة تعين على الحفظ والتدبر معاً، باستثمار أدوات العصر لهذا الغرض.

---

(١) مسند الإمام أحمد؛ عن أبي موسى. الحديث رقم ١٩٥٦٣، ط١/ دار الفكر بيروت ٢٠٠٩.

الفصل الخامس

منهج جديد لتعليم القرآن للأطفال

ما زال على أطفالنا أن يحفظوا الأجزاء الأخيرة من القرآن، كما كانوا يفعلون طوال القرون الأولى، بذريعة أن سورها من القصار، بغضِّ النظر عن صعوبة مفرداتها ومدى قدرتهم على فهم معانيها، بل إن حفظهم لها مرتبط غالباً بالألفاظ والمباني؛ يرددونها كالببغاوات، دون أي إدراكٍ لمعانيها.. وربما شاب أحدهم من دون أن يتعرف معنى: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ١١٣/٣] في سورة الفلق، أو معنى كلمة ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٨٠/ ٣١]. وهذا المنهج في تحفيظ النصوص معزولةً عن معانيها مخصص لتدريس القرآن الكريم في المدارس، يقابله الحرص على تفهيم المواد الدراسية الأخرى. الأمر الذي يرسخ هذا الانفصام بين الألفاظ والمعاني في ذاكرتهم، كلما كان الأمر متعلقاً بالقرآن الكريم.

وقد سبق لأحد كبار المربين أن حدثنا عن الصعوبة التي كان يلاقيها في استجلائه معاني سورة (يس)؛ إذ كانت الألفاظ تسابقه فلا تدع له مجالاً للتدبر، وذلك بسبب حفظه المبكر، وتلاوته المتكررة لها.. الأمر الذي دعاه للتفكير بمنهج آخر لتعليم القرآن للأطفال.

وقد أطلعنا يومها على تجربته مع طفلة في سن السابعة: قصَّ عليها قصة أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين.. قصها أولاً بأسلوبه

الخاص وكلماته المبسطة، ثم طلب منها أن تحكيها لنا فحكتها، ثم أعاد قصّها عليها، مستبدلاً بكلماتها القرآنية كلماته المبسطة،واستعادها منها فأعادتها مع بعض التعثر، ثم قال لها: اسمعي القصة كما حكاها لنا القرآن الكريم،فاستمعت واستمتعت، وأعادت القصة القرآنية بيسر وثقة.

وفي رأي الدكتور أمين المصري صاحب التجربة؛ أن تعليم القرآن للصغار ينبغي أن يتدرج بهم من القصص القصيرة والمتوسطة؛ كرحلة الشتاء والصيف لقريش،وقصة أصحاب الفيل، وقصة أصحاب الأخدود.. إلى القصص الطويلة، كقصص موسى وفرعون، وقصة يوسف وإخوته الغنية بالمعاني.

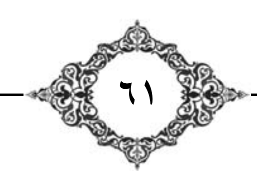
هذا للمستوى الأول، ثم تليه آيات الأخلاق والقيم للمستوى الثاني، ثم المفاهيم المجردة والأحكام للمستوى الثالث.

إن ولع الطفل بالقصة كبير لا حدود له، والقرآن الكريم على الرغم من كونه حافلاً بالقصص الواقعية المثيرة لخيال الطفل، فإن له هدفاً تربوياً لا يخفى؛ يُستخدم لتحقيقه التصوير الفني وأسلوب الحوار والإيحاء.

فإذا أحسنّا إيصال مشاهد القصص القرآني إلى نفوس الأطفال بلغة قريبة من مداركهم، ثم تلونا عليهم الآيات الواردة فيها، مع تفسير لبعض ألفاظها الغريبة، فإن ذلك سيرسخها في نفوسهم، مع كل مضامينها وأهدافها التربوية والأخلاقية.

وقد صرح القرآن بالهدف في بعض قصصه، وترك للقارئ أن يستخرجه في بعضها الآخر.

«وربما ترد القصة القرآنية الواحدة مكررة في مواضع شتى من القرآن الكريم، وهي في كل موضع من هذا التكرار تحقق غرضاً أو هدفاً غير



الأهداف التي حققتها في المواضع الأخرى»[١]. ومن أمثلة هذا النوع قصص موسى عليه السلام التي يوردها القرآن على حلقات؛ في كل منها عدة مشاهد.

وقد تكون القصة طويلة كقصة يوسف عليه السلام، وقد استغرقت سورة بكاملها؛ عرضت لنا في حلقة أولى كيد إخوته الذين ألقوه في غيابة الجب،وفي حلقة ثانية: يوسف في بيت عزيز مصر،ومحنته مع امرأة العزيز، ثم مرحلة السجن في حلقة ثالثة، ليخرج بعدها إلى سدة الرئاسة أميناً ﴿عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٢/٥٥]، في الحلقة الرابعة.

هكذا نجد في القرآن عشرات القصص التي تشكل نبعاً ثراً غنياً لتحفيظ الأطفال، مع تحقيق الأغراض التربوية الأخرى، من الاستمتاع، والفهم، والتدبر، والاعتبار.

ويبقى أن يقدم الباحثون من الزاد المعرفي، ما يحقق هذا المنعطف الكبير في تاريخ تعامل الأمة الإسلامية مع كتاب الله تعالى، وإعادته إلى نطاق الفعالية والتأثير.

---

(١) التربية بالقصة: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر- ط١/٢٠٠٨- ص١٧.

البَابُ الثَّانِي

خدمة علوم القرآن الكريم

- الفصل الأول: معاجم المعاني
- الفصل الثاني: التجويد وعلم اللسانيات
- الفصل الثالث: الإعجاز القرآني

الفصل الأول

معاجم المعاني

ما حظي كتاب في تاريخ البشرية بمثل ما حظي به القرآن العظيم،عناية ورعاية؛ من حيث جمعه وحفظه، وكتابة آياته، ورسم حروفه، وإعراب كلماته،وضبط قراءاته، وشرح مفرداته وتفسير آياته وسوره، ودراسة لغته، وتذوق بلاغته، وإظهار إعجازه،وبيان أحكامه، وفهرسة ألفاظه، واستخراج موضوعاته، والعناية بطبعه وزخرفته وجمال منظره، إلى غير ذلك من الخدمات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل.

غير أن المكتبة القرآنية ما زالت مفتقرة إلى خدمة القرآن العظيم من ناحية استخراج المزيد من كنوزه، وتوليد معانيه، وفهرسة موضوعاته، إذ من المعلوم أن كل موضوع في القرآن يشكل وحدة متكاملة، متناثرة في آيات القرآن وسوره.

ولئن كان الاجتهاد في معاجم كلمات القرآن محدوداً؛ لا يعدو طريقة ترتيب الكلمات على جذورها، أو على صورتها الواردة كما هي من دون رد إلى أصل أو جذر، فإن بابه في معاجم المعاني مفتوح على مصراعيه، يدعو الباحثين إلى ولوجه بفعالية وهمة.

ذلك أن كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد؛ بحر زاخر بالمعاني، متجدد يُمد كل جيل من أجيال البشرية بأجوبة على أسئلتها المستجدة، وبمعان جديدة لآياته؛ يصقلها النظر

المتعمق، ونمو المعارف البشرية المتواصل، وبحلول لمشكلاتها الطارئة؛ تلبي احتياجاتها المتنامية.

وعلى الرغم من اهتمام السلف بموضوعات القرآن والتأليف فيها كلّاً على حدة، فإن إسهاماتهم في معاجم المعاني كانت محدودة، وأول من ألف فيها في العصر الحديث المستشرق جون لابوم في كتابه (تفصيل آيات القرآن)، الذي وزعها على عشر موضوعات رئيسية، فرَّع منها موضوعات فرعية؛ تُرتب على الباحث أن يقرر الفرع الذي يندرج فيه موضوعه، وأن يكرر محاولته كلما أخفق في تحديد هذا الفرع.

ثم سار على نهج جون لابوم عدد من المؤلفين المسلمين، أمثال د.محمد فارس بركات في الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم، وأحمد إبراهيم مهنا في تبويب آي القرآن من الناحية الموضوعية، ومحمد زكي في الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن الكريم، ومحمد محمود إسماعيل في تصنيف آيات القرآن الكريم، ود. محمد حسن الحمصي في تفسير وبيان مفردات القرآن.

إلى أن قامت دار الفكر عام ١٩٩٥ بإصدار (المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم) في جزأين من إعداد محمد بسام رشدي الزين، وإشراف محمد عدنان سالم. ويهدف هذا المعجم إلى جمع الآيات القرآنية التي يربطها موضوع واحد، وفرزها إلى موضوعات فرعية وأفكار جزئية، تظهر من خلالها وحدة الموضوع وترابطه المنطقي؛ ثم إخراج هذه الموضوعات الرئيسية والفرعية مرتبة ترتيباً معجمياً ألفبائياً.

يسعى هذا المعجم إلى خدمة الباحثين والدارسين، والخطباء والواعظين، وكل طالب علم، وطالب فهم وتدبُّر لكتاب الله عز وجل، إذ يخفف على الباحث عناء البحث عن مراده إذا أراد تناول موضوع تطرق إليه القرآن العظيم، ويضع بين يديه مخطط البحث، وأفكاره الرئيسية.

وإذا كان المرحوم الأستاذ فؤاد عبد الباقي قد يَسَّر للباحثين مهمة الرجوع إلى آيات القرآن العظيم من خلال ألفاظه؛ فإن هذا المعجم ييسر لهم مهمة الرجوع إلى آيات القرآن العظيم من خلال موضوعاته؛ الرئيسية منها والفرعية.

فإذا رام الباحث التعرف على آيات الموضوع الذي يهمه، وليكن الحوار (على سبيل المثال) فإنه لن يجد في معجم كلمات القرآن غير آيتي الكهف ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ١٨/ ٣٤]، و﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ١٨/ ٣٧]، وآية المجادلة ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ١].

لكنه في معجم معاني القرآن العظيم سيجد حوالي ٨٠ صفحة على عمودين في موضوع الحوار؛ يتفرع منه على المستوى الثاني خمسة عشر موضوعاً؛ هي: الحوار: أسلوبه، حوار الإنسان مع الكائنات الأخرى، الحوار الإنساني، الحوار بين الله وإبليس، الحوار بين الله والأنبياء، الحوار بين الله والإنسان، الحوار بين الله والملائكة، الحوار بين أهل النار، الحوار: شكله، ضرورته، قطعه، قواعده، الحوار المذموم، الحواريون.

ثم يتفرع من كل منها موضوعات على المستوى الثالث: فالحوار: قواعده (على سبيل المثال): يتفرع منه ثمانية فروع هي: الأدب، إظهار الحق، البعد عن التناقض، البعد عن المكابرة، التجرد، الصدق، طلب الدليل، العلم.

ثم يتفرع منها على المستوى الرابع موضوعات، فالحوار، الإنساني، الدعوي (على سبيل المثال) يتفرع منه: بين إبراهيم وقومه، بين شعيب وقومه، بين صالح وقومه، بين لوط وقومه، بين موسى وفرعون، بين موسى وقومه، بين موسى وهارون، بين نوح وابنه، بين نوح وقومه، بين هود وقومه، مع أهل الكتاب.

وعلى الرغم من انتفاع عدد كبير من الباحثين والخطباء بهذا المعجم، وإعادة طبعه؛ فإن الحاجة ماسة إلى تطويره،وتزويده بمداخل جديدة لموضوعات: إما أن عناوينها المفتاحية قد تغيرت بتغير الزمان، أو أن اكتشافات جديدة أضافت إليها معاني جديدة كالتي ستأتي الإشارة إليها في فصل الإعجاز القرآني[١].

ولا شك أن كل قراءةٍ جديدة واعية للقرآن سوف تضيف مفاتيح جديدة لكنوزه التي لا تنفد، تكون نواة لمكنزٍ يتنامى على مر الدهور.

---

(١) لقد أنجزت دار الفكر هذا التطوير، ليصدر المعجم قريباً في طبعة جديدة منقحة، تم تعديلها جذرياً؛ لتجنب التكرار لبعض الآيات اكتفاء بالإحالة إليها، ولحذف المداخل المتعلقة بالألفاظ اكتفاءً بورودها في معجم كلمات القرآن، وإضافة مداخل جديدة شاع استخدامها حالياً.

الفصل الثاني

التجويد وعلم اللسانيات

على الرغم من أن علم الأصوات مصطلح؛ يعد علماً حديثاً، لا تتجاوز بداياته قرناً من الزمان؛ فإن أبحاثه كانت موجودة،ولعلماء العربية القدامى بحوث صوتية شهد المحدثون بِجدَّتها وجَوْدتها بالنظر لعصورهم.. فمن كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، إلى (كتاب) سيبويه (ت ١٨٠هـ)، توالت جهود العلماء من اللغويين؛ كالسيرافي (ت ٣٦٨هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ). لكن رسالة ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في (حدوث الأصوات) التي أشار فيها إلى كنه الصوت وأسبابه، ووصفِ أجزاء الحنجرة واللسان؛ وصفَ طبيب مشرح، وعالم بأسرار الطبيعة؛ تظل مميزة، ثم توالت جهود القراء؛ أمثال مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، لتتوقف نحو أربعة قرون، فيستأنفها ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

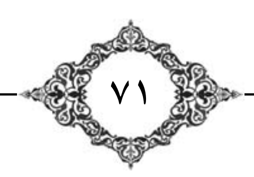
وظلت كلها اجتراراً لآراء سيبويه، تلخيصاً وشرحاً من دون إضافة تذكر، حتى القرن الهجري الرابع عشر،حين ابتدأت بحوث المستشرقين المتعلقة بدراسة البحوث الصوتية للنحاة العرب، ومقارنتها بما أمكن استخلاصه من عناصر النطق التقليدي بالعربية الفصحى،ونوعيات النطق بالألسن الدارجة. وكان كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، الصادر أواسط القرن المنصرم، أول الدراسات الصوتية العربية.

ولئن اقتصرت مباحث علم التجويد على القرآن الكريم، فإن مصطلحاته هي ذاتها المصطلحات الصوتية التي عرفت عند علماء اللغة والنحو، مما يؤكد لنا السبق الشاسع الممتد لأكثر من عشرة قرون لعلماء العربية في علم الأصوات. غير أن هذا السبق الباهر، لا يسوِّغ لنا حالة الركود والاسترخاء التي اكتنفت نشاطنا العلمي، وجمدت بحوثنا في علم الأصوات عموماً، وعلم التجويد خصوصاً، عند جهود الأقدمين، المبنية على الحدس والظن والاستقراء والاستنتاج، من دون أي إحساس منا بمستجدات العصر وإمكاناته العلمية المتطورة في ظل ثورتي المعلومات والاتصالات، وما أخذه علماء اللسانيات المحدثين على علمائنا الأقدمين من انعدام الدقة في تحرير المصطلح، مثل استعمالهم (الحرف) للدلالة على الصوت اللغوي والرمز الكتابي معاً، في حين تفرق الدراسات الحديثة بينهما، لتفاوت انطباق لفظ الحرف على شكله المكتوب أحياناً.

لذا أجد من واجب الناشر العربي اليوم، العمل على ترميم هذه الفجوة أو الغفوة الطويلة، واستئناف الجهد في بحثٍ؛ علماؤنا هم الأجدر به لسبقهم إليه.

وثمة جانب آخر - في علم التجويد والتلاوة القرآنية - ينبغي على الناشرين التوجه إليه:

فعلى الرغم من الجهود المشكورة لمراكز تحفيظ القرآن مجوَّداً- في أنحاء العالمين العربي والإسلامي- فإن قطاعاً كبيراً من شبابنا بات يلحن بالقرآن لحناً غير مقبول، نظراً لتخفيض ساعات تعليم القرآن في المدارس، وتهميشها.. مما يرتب على الناشرين أن يقدموا لهم ثقافة قرآنية مساعدة؛ مبتكرةً تتجاوز المألوف، جاذبةً تشدهم إليها، تفاعليةً تشركهم في إنتاجها، واقعيةً تعالج مشكلاتهم التي يعانونها، مبسَّطةً تيسر لهم الاستمتاع بتلاوة مرتلةٍ للقرآن؛ تُقرأ باطمئنان وتؤدة، وتعطي كل حرف حقه؛ من



مخرج، وصفة، وغنَّة، ومد، وتفخيم وترقيق، وهمس وجهر، وشدة ورخاوة، واستعلاء واستفال، وإطباق وانفتاح.. إلى آخر صفات الأصوات في علم التجويد[١]. وتخرج بهم من القراءة السطحية المعتادة، وتعالج- بحكمة ولطفٍ- ما درج على ألسنتهم من لحن في القرآن، يتمثل في:

- أخطاء في الحركات، وخاصة في أواخر الكلم التي قد تقلب الفاعل إلى مفعول به.

- أخطاءٍ في مخارج الحروف ناجمة عن البيئة؛ كالخلط بين القاف والغين عند أهل السودان الذين يقولون للبقر (بغراً) وللغنم (قنماً)، وبين الجيم والياء عند أهل الخليج ليصبح لفظ الزجاجة عندهم (زياية)، وبينها وبين الشين فيقال في اجتمعوا (اشتمعوا) وبين الضاد والظاء، وأحياناً الصاد والظاء عند آخرين.

- أخطاءٍ لدى المسلم غير العربي، بسبب غياب بعض الحروف العربية عن لغته، كغياب حرف الخاء والضاد عن معظم اللغات الأوربية، ولا شك أن المسلم- مثلما هو متعبد بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده- متعبد بتصحيح ألفاظه على النحو الذي نزل به.

«والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء (لا يطاوعه لسانه) معذور. أما القادر على النطق الصحيح بالعربي الفصيح، المصر على اللفظ القبيح، اتكالاً على ما ألف، فهو مقصر وآثم»[٢].

---

(١) رَ: صفات الحروف (ملحق رقم١).

(٢) ملاحن القراء: للقاضي بن حامني، دار الفكر بيروت ص١٢٨.

الفصل الثالث

الإعجاز القرآني

تجلى الإعجاز القرآني عملياً لدى الجيل الأول، جيل التلقي بشقيه المشرك والمؤمن؛ ذلك الجيل الذي نشأ على الفصاحة والبلاغة وقوة البيان، يتبارى بها في سوق عكاظ كل عام..

فأما المشرك فقد وقف أمامه في البداية مذهولاً، يصفه بالسحر أحياناً، وبالشعر تارة، وأنه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٥/٥] تارة أخرى، وكان كبراؤهم يسترقون السمع ليلاً لينصتوا إلى رسول الله ﷺ - خلسة - وهو يصلي من الليل. وعندما أدركوا تأثيره في القلوب، وسلطانه على النفوس؛ تواصوا أن ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٤١/٢٦] خشية أن يفتنهم عما وجدوا عليه آباءهم. ووقفوا عاجزين عندما تحداهم: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣].

وأما المؤمن فقد عكف عليه قراءة ومدارسة وتطبيقاً وعملاً، فكان وعيه له وإقباله عليه سر إعجازه العملي في الواقع.

لم يدُر في خَلَد أحد من الأجيال الأولى أن يبحث نظرياً عن وجوه الإعجاز في القرآن، وإنما بدأ الكلامُ في الإعجاز القرآني والتأليف فيه، أواخر القرن الثاني للهجرة، وكان في بدايته دفاعاً عن القرآن في مواجهة

ما أثاره الطاعنون فيه من أكاذيب وأباطيل. وأول كتاب فيما أعلم فسر هذه الاتجاهات الفنية التي أثارت تساؤل الناس فيما يشبه الاعتراض على القرآن،هو كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢٠٤هـ).

وبين القرنين الثالث والسادس للهجرة، وهي الفترة الذهبية، في غزارة العطاء الفكري للحضارة الإسلامية، طور العلماء المسلمون أبحاثهم في الإعجاز القرآني، إلى محاولات بادئة في تحديد مصطلح الإعجاز، على يد الجاحظ وابن قتيبة؛ تعمقت وتفرعت على يد كل من الرماني والخطابي والباقلاني، ثم تأصلت على يد الشريف الرضي وعبد القاهر الجرجاني.. ثم اقتصرت بعد القرن السادس على نوع من التكرار والاختصار؛ مؤذنة بجمود الحركة عند هذا المدى.

ويمكن تلخيص أوجه الإعجاز المعتمدة عند هؤلاء الراسخين من العلماء في أوجه ثلاثة:

١- الوجه البياني (البلاغة والنظم)، ويندرج تحته: التحدي للكافة،وترك المعارضة مع توفر الدواعي، ونقض العادة،وقياسه بكل معجزة.

٢- الوجه التاريخي، أو الإخبار بالغيوب.

٣- الوجه النفسي: الذي يتجلى في صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس.

أضاف إليها القاضي عياض (ت ٥٤٣هـ) وجهاً رابعاً هو الوجه العلمي.

وفي العصر الحديث، عصر الانفجار المعرفي توسع الباحثون في هذا الوجه الأخير، فامتلأت المكتبات بكتب الإعجاز؛ العلمي، والطبي، والعددي، والتشريعي، والاقتصادي، والفكري، والفني، وما شاكل ذلك.. وأسرف بعض المؤلفين في هذا الموضوع بتحميل القرآن الكريم

ما لا يحتمل، وربطه بكشوفٍ علمية،ونظريات غير مستقرة؛ لا تلبث أن ينكشف زيفها، ويحل محلها من النظريات ما يقلبها رأساً على عقب(١).

لكن مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) يرى أنه إذا كان لا يليق بنا أن نعد القرآن كتاب علم، فإننا نلاحظ فيه مع ذلك آيات تلامس حقائق علمية لم يكن في مقدور العقل الإنساني وعيُها في عصر التنزيل، وفي ذلك ما يؤكد لنا المصدر الإلهي للأفكار القرآنية، التي يضعها القرآن في أيدي الأجيال، يحثها على الغوص في أعماقها لاكتشاف مدلولاتها، فيقدم كل جيل تفسيراً لها من خلال المعارف العلمية السائدة في زمانه:

«فإذا بالعقل- وهو الذي تعود أن يفكر فيما هو معلوم، وفيما هو قابل للعلم مما يتصل بالمستوى الإنساني-يجد نفسه وقد حُمل بعيداً ليلحظ من هنالك، في وميض آية من آيات القرآن، أفقاً من آفاق المعرفة المطلقة»(٢).

وهكذا نرى أن القرآن من غير أن يلجأ إلى التفسير العلمي يضع لنا بعض المعالم على هذه الطريق: حول دوران الأرض وانتقاصها من أطرافها، ودحو قطبيها، وسباحة الأجرام السماوية في أفلاكها، والليل والنهار، وقانون الانكسار في القبض اليسير، وضيق الصدر عند التصعد في السماء، وبداية خلق الإنسان من طين، وكون الماء أصلاً لكل شيء حي، والمصباح الذي يضيء ولو لم تمسسه نار، وأدوات الحرب الرهيبة التي سيستخدمها الإنسان بعد السلاح الأبيض، وفيها شواظ من نار ونحاس، وتمدد الكون غير المتناهي.

فإن نحن ذهبنا إلى ما أمدنا به القرآن الكريم حول هذا الأفق الأخير وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٥١/٤٧].

---

(١) نظرية الإعجاز القرآني: أحمد سيد محمد عمار، دار الفكر ط١: ١٩٩٨/ ص٣٠، ٤٠، ٨٩، ٩٢، ٩٧.

(٢) الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط٤/ ١٩٨٧، ص٢٨٤.

فإن أول ما يلفت نظر العالم المتخصص في علوم الفضاء في هذا النص القرآني؛ هو إثباته التمدد المستمر للكوْن، وهو ما تعنيه كلمة موسعون المشتقة من الفعل المزيد وسَّع وليس الفعل المجرد وَسِع.

فالنص القرآني لا يعبر فقط عن سعة الكوْن التي تعني ثباته وسكونه، كما كان يتخيله علماء الفيزياء المتأثرين بقوانين الجاذبية. وإنما يعبر عن توسعه المستمر والمتزايد والمتسارع؛ كما كشف عنه العالم الفلكي الأميركي أدوين هابل عام **١٩٢٩**، وأدى اكتشافه إلى إحداث تغيير كبير في علوم الفضاء، وفي طريقة التفكير التي كان العلماء يتبعونها في بحوثهم حول نشأة الكون.

لقد نظر هابل نظرة في النجوم، فرأى أنها لا تبتعد عن الأرض فحسب، بل يبتعد بعضها عن بعض، بما يشبه البالون عند نفخه، بحيث إنك إذا رسمت نقاطاً على البالون ثم نفخته، لرأيت أن النقاط على سطحه تتباعد ويتغير لونها؛ كلما ازددت في النفخ، تماماً كالذي يحصل للكون وهو يتسع.. تتوالد مجراته، تولد صغيرة ثم تكبر، وتكون متقاربة، ثم تتباعد مبتعدة عن مركز الانفجار الكوني الأول Big Bang.

لقد فسر لنا هابل وزملاؤه من العلماء تمدد الكوْن منذ الانفجار الأعظم، ولم يدر في خلَد هابل وزملائه أنهم قد فسروا لنا بذلك آيات معجزة من القرآن العظيم؛عجزنا نحن- بسبب تقاعسنا العلمي- عن تفسيرها في حركة الكون والمجرات، ولو قدِّر لهم أن يطلعوا على هذه الآيات لأضافوا إلى كشوفهم العلمية الاكتشاف الأهم الذي يطمئن الإنسان على أسئلته الأزليَّة الكبرى: من أين؟ ماذا قبل الانفجار الكوني الأول المستمر بالتمدد والتوسع؟ من الذي بدأ الخلق؟ وإلى أين ينتهي الخلق؟

فلنقرأ قصة خلق الكون كاملة كما يحكيها لنا القرآن المعجز!!:

١- الكون المتمثل لنا بالسماء التي تحيط بنا؛ تشرق علينا شمسه في النهار، وتتلألأ لنا نجومه في الليل؛ إنما هو خلق الله، الذي أتقن بناءه، منذ أوجد بذرته الأولى، التي أخذت تنمو وتتسع، ضمن قوانين ثابتة ونظام محكم بديع: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٥١/ ٤٧].

٢- وهذا الخلق بنظامه البديع، إنما هو آية من آيات الله تعالى المسخرة للإنسان؛ عليه أن يعمل عقله وفكره فيها ويحسن استثمارها ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩٠].

٣- ولقد بدأ الله خلق الكون من نقطة الصفر.. بدأه كتلة واحدة (رتقاً) ثم فتقه ليتعاظم ويتكاثر ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٣٠].

٤- وكما كان الكون قد بدأ من العدم بذرة خلقها الله قابلة للتمدد والاتساع، فإنه حتماً سيكون قابلاً للانكماش والتلاشي إلى العدم ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٠٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٧].

٥- وعلى الإنسان أن يحدِّق نظره في الكون، ويستكشف أسراره التي تكفل الله بتجليتها له حين يجتهد لاكتشافها ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٤١/ ٥٣].

ثم لننظر ماذا عند المفسرين على مر العصور:

لقد تتبعت تفسير هذه الآية ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٥١/ ٤٧]، لدى ثلاثين مفسراً؛ منذ ابن عباس في القرن الهجري الأول، وحتى القرن الحالي الخامس عشر؛ فلم أجد عند أحد منهم زيادة

على ما فسرها به ابن عباس؛ ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾ خلقناها، ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون على توسيعها، مع بعض الاختلاف في الشروح، وإيراد أقوال أخرى؛ تبتعد بالكلمات عن معانيها المعجمية.. بل إني لمحت عند ابن عباس- وحده- ما يلامس الاكتشاف العلمي الأخير، ولو عن غير قصد إذ يقول: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لها ما نشاء(١). كما لمحت مثل ذلك عند القاسمي من المتأخرين إذ يقول في تفسير الآية: وإنا لقادرون على الإيساع(٢).

حتى سيد قطب (في ظلال القرآن)، فإنه يقول: «والسعة ظاهرة، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة، والتي تعد بالملايين، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب»(٣) ولم يفطن إلى أن (موسعون) مشتقة من الفعل المزيد (وسَّع) الذي يعني استمرارية التوسيع، وليس من الفعل المجرد (وَسِع).

إن هذا التكرار لدى مفسرينا على جلالة أقدارهم، ربما كان ناجماً عن تقديس الماضي، وعدم الجرأة على استثمار مستجدات العلوم في تفسير القرآن الذي (لا تنقضي عجائبه) ولا يكف عن العطاء.. مما شجع بعض العلماء المتخصصين في العلوم البحتة والتطبيقية، على أن يدلو بدلوهم في التفسير العلمي للقرآن، منقبين عن كنوزه المعجزة التي تسابق الكشوف العلمية؛ تحثهم على ارتياد الآفاق بحثاً عن الأسرار المكنونة فيها.

وبعد فالذي تطمئن إليه النفس من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم هو ما وصفه به رسول الله ﷺ، أنه «... لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق من كثرة الرد» [أخرجه الحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث عبد الله ابن مسعود].

---

(١) تنوير المقباس (تفسير ابن عباس) للفيروز آبادي- دار الفكر بيروت- ص٥٢٢.
(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، ج٩ ص٣٧٣٧ دار الفكر بيروت ط١.
(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق. طبعة ١٩٧٤، ٦/ ٣٣٨٥.

فالقرآن الكريم كان المعجزة الكبرى لخاتم النبيين، امتن الله تعالى بها على الناس، حين سألوا الرسول أن يأتيهم بالمعجزات الكونية، شأن الرسل من قبله، فكان الجواب الرباني: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٥١].

وختمُ النبوة بهذا الكتاب المبين، معناه أن الله تعالى قد أهدى البشرية دستورها الخالد، ليكون رفيقها وهاديها إلى أن يرث الله تعالى الأرض، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

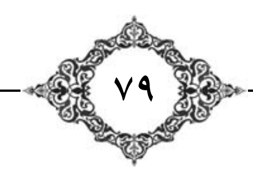
أليس عجيباً أن يكون النص الثابت، الذي صانه الله تعالى من التبديل والتحريف، ملبياً لحاجات البشرية المتجددة المتطورة النامية؟!

نعم، وذلك هو سر إعجازه؛ ينهل منه كل جيل من أجيال البشرية ما يحل به مشكلاته الحاضرة، ويخطط به آفاق مستقبله، بحسب طاقته العلمية، وحصيلته المعرفية، وكأنه يتنزل عليه من السماء لتوه؛ قرآناً عربياً غضاً نابضاً بالنضرة والحياة، يستوعب المكان والزمان، ماضيَه وحاضره، بل هو يضيء للبشر آفاق مستقبلهم، داعماً آياته في الكتاب بآياته في الكون والحياة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٤١/ ٥٣]. ومرة أخرى يتساءل الناس: إن كلَّ طاقة مهما تعاظمت، فإنها آيلة إلى النفاد، وكلَّ حقيقة مهما ترسخت، فإنها صائرة إلى أن تخلي مكانها لحقيقة أحدث كشفاً وأكثر نفعاً.

فما لهذا القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يكف عن العطاء؟!

ويأتي الجواب من القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٣١/ ٢٧].

ولسوف تظل معاني القرآن المتجددة تتدفق مثل سحابةٍ مدرارٍ تغيث كل مستغيث، ورحمٍ ولودٍ تجدد الحياة للبشرية كلما أخلدت إلى الأرض،



وانتابتها أعراض الشيخوخة والكسل، وطاقةٍ زاخرةٍ تمدها بالقوة، كلما أوشكت شعلتها تخبو، ووقودها ينفد، ومادَّةٍ متجددةٍ تحث الباحثين على ارتيادها.

الباب الثالث

خدمة النشر الإلكتروني الشامل للنص القرآني وعلومه

من الضروري جداً أن ندرك اللحظة الراهنة؛ التي يشهد فيها الإنسان أخطر التحولات في تاريخه الطويل، إذ يتحول بسرعة مذهلة من عصر الصناعة وأدواته المادية المحدودة، إلى عصر المعرفة وأدواته الإلكترونية المتفجرة بلا حدود، والتي لم تترك للمسلم عذراً في قراءته السطحية للقرآن الكريم؛ لمجرد التبرك،من دون تدبر لمعانيه ووعي لمفاهيمه، يعينان على وضعه في موقع الفاعلية والتأثير.

فإذا كانت المصاحف الورقية المبثوثة بين أيدي المسلمين، لا تسعف القارئ بأكثر من تلوين لفظ الجلالة باللون الأحمر،وبتفسير مختصر- أحياناً - على هامشه، وبعض أحكام التجويد المساعدة التي لن تغنيه عن التدرب بالمشافهة.. فإن المصاحف الإلكترونية الآخذة بالانتشار، والمستمرة بالتطور، قد وفَّرت له كل متطلبات التلاوة الحق.

وإنني لعلى ثقة من أن صلة الأجيال الجديدة بالقرآن الكريم ستكون أفضل من صلة الآباء، نظراً للإمكانات الكبيرة المتاحة بين أيديهم من جهة، ولإتقانهم التعامل معها من جهة أخرى: فإذا ما أقبل شاب على كتاب الله تعالى؛ يروم تلاوة ورده اليومي، أو أي تلاوة مختارة؛ قدمت له البرامج الإلكترونية:

١- النص: بدءاً بالصفحة أو الآية التي سبق أن توقَّف عندها. مكتوباً بالرسم العثماني؛ يقابله نص بالرسم الإملائي المعتاد، وبعلامات الترقيم

المتعارف عليها، يوضح له ما أشكل عليه فيه. كلاهما قابل للتصغير والتكبير حسب حاجة القارئ.

٢- تلاوةً مقروءة بصوت قارئ يختاره، لآية أو كلمة، يقيم لسانه بها، أو لسورة يصغي إليها؛ يتدرب بسماعها على تجويد تلاوته، وتحسين إخراجه لحروفها[(١)].

٣- طرائقَ تفاعلية تعينه على الحفظ حين يريده؛ تكرر له النص مقطعاً ومتلواً بطريقة مناسبة، وتستمع إليه منه بصوته، وتصحح له أخطاءه، حتى يجيدها.

٤- ولا شك أن فهم النص، وإدراكَ معانيه وأبعادِه، وإعمالَ العقل في تدبُّره، من أهم ما يُساعد على حفظه من جهة، وعلى العمل بما فيه من جهة أخرى.

٥- وأسبابُ نزول الآيات - حين توجد- والظروفُ المحيطة بتنزل بعضها، هي من أهم ما يعين على فهمها، وفهم الأحكام التي تستنبط منها، أو تقاس عليها.

٦- والنص قد يكون من الوضوح، بحيث لا يحتاج القارئ معه إلى شرح، فيتمثله ويمضي، حتى إذا وقع على كلمة استغلقت عليه، أمكنه التوقف عندها، والرجوع بها إلى معجم لتفسير كلمات القرآن، وقد تكون هذه الكلمة من المشترك اللفظي، الذي يتكرر لفظه ويختلف معناه من آية لأخرى مثل كلمة (الروح) التي تعني جبريل عليه السلام في آية، وتعني الوحي في أخرى، وتعني رحمة الله في ثالثة، وخَلْقه في رابعة، فيستوعبها جميعاً، ثم يعود لاستئناف تلاوته من حيث توقف بها.

٧- فإن لم يقنعه التفسير الجزئي للكلمة، وأراد استكمال ورده اليومي،

(١) رَ: لوحة مخارج الحروف (ملحق رقم ٢).

وضع عندها تعليقاً وإشارة للعودة إليها ومتابعة البحث فيها، ومضى.

٨- أما إذا لم يستطع عليها صبراً، وأراد أن يحيط بها خُبراً؛ فإن البرنامج سيكون قادراً على تزويده بكل ما يشتهي من تفاسير للقرآن؛ وجيزة، أو متوسطة، أو مطولة، حديثة أو قديمة.. ينتقي منها ما يشاء، ويضعه في ملف خاص بطريقة القصِّ واللصق، في برنامج معالج الكلمات والنشر المكتبي، ليقارن بين مختاراته، ويستنتج منها ما اطمأنت إليه نفسه، مما قد يعود إليه ليغنيه في قراءات لاحقة.

٩- فإن لم تسعفه التفاسير، أو أراد أن يستفسر القرآن عما أشكل عليه فيه، فإن له أن يتحول عنها إلى معاجم كلمات القرآن، التي تعتمد الكلمة ذاتها أو جذرها مدخلاً لها، باحثاً عن تردداتها فيه، عله يجد فيها إربه، ثم إلى معاجم معاني القرآن؛ يقارن بين الآيات الواردة في المعنى ذاته، ويستخلص منها ما يلبي قلقه، ليضيفه إلى ملف تعليقاته.

١٠- فإن دفعه قلقه إلى الاستزادة من البحث،فثمة فرصة يتيحها له البرنامج للتجوال في كتب الدراسات القرآنية، باحثاً فيها عن موضوعه؛ فلا بد أن يكون البرنامج مزوداً بعدد كبير من هذه الكتب، مع محركات بحث ومفاتيح قادرة على الولوج إلى المواضيع فيها.

١١- فإن لم يكتف بما زوده به البرنامج باللغة العربية، أمكنه التحول إلى ترجماتٍ لمعاني القرآن ودراسات لمواضيعه بلغات أخرى، لمؤلفين مسلمين أو مستشرقين.

١٢- وهكذا يتجدد كتاب الله تعالى بين يديه، ليجد في كل قراءة جديدة له؛ جديداً يبحث عنه، فيكون لتكرار التلاوة معنى، ويتحقق وصف الرسول ﷺ له بأنه «لا تنقضي عجائبه،ولا يخلق من كثرة الرد» .[أخرجه الحاكم١/ ٥٥٥ من حديث عبد الله بن مسعود].

❁ ❁ ❁

يتابع القارئ ذلك كله، وهو في مجلسه ذاته، وراء جهازه الذي كلما طلب منه شيئاً؛ أجابه - مثل عفريت سليمان -: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٢٧/ ٤٠].

إنه النص المتفرع Hypertext الذي أتاحه لنا عصر الشابكة (الإنترنت)، الذي يذكرنا بالنص المتفرع الذي عرفناه عند أبي العباس المبرِّد في كتابه (الكامل)، الذي يتوقف عند كلمة أو حادثة تاريخية ليشرحها في صلب النص، ثم يتوقف ثانية عند بيت من الشعر أو علم من الأعلام، ليشرح القصيدة والشاعر وشعره، وما واجهه من نقد، فتستوقفه مسألة جديدة قد يتفرع منها مسائل أخرى، ليعود إلى سياق النص الأصلي، بعد عدد من الصفحات قد يتجاوز الثلاثين. كما عرفنا النص المتفرع عند أسلافنا، متمثلاً في المتن والشرح والحاشية والتعليق على الصفحة الواحدة ذاتها، مع الفرق الكبير في الحجم والأدوات التي أصبحت تكتُب باللمس أحرفاً من نور، على شاشة تختزل مئات آلاف الصفحات.

تلك الإمكانات الكبيرة تم استيعابها ضمن المحتوى الرقمي العربي، على الشابكة (الإنترنت)، الذي ما زال دون الطموح؛ على الرغم مما حققه من تقدم ملحوظ في مجال تداول المعلومات التي أسهم بها عدد كبير من مراكز الأبحاث والشركات والمؤسسات العربية(١). وساعد على تطويرها واستعادة معلوماتها محركات البحث العالمية، مثل جوجل (Google)، وبينغ (Bing)، وياهو (Yahoo)، وألتفستا (Altavista) وإم إس إن (MSN).

لكن في مجال الدراسات القرآنية ما يزال هناك إمكانات للتنمية

---

(١) المحتوى الرقمي العربي: وهو مجموع مواقع وصفحات الويب التي كتبت بالعربية ويشكل أقل من ٢٪ من المحتوى المتوفر على الإنترنت، وهذه النسبة تعتبر متدنية، إذا أخذنا بالاعتبار عدد الناطقين باللغة العربية في العالم (٤٠٠ مليون) وباعتبارها لغة القرآن لأكثر من مليار وربع مليار مسلم في العالم.

والتطوير بالمحتوى الخاص بعلوم القرآن، رغم الجهود المميزة، والمقدمة من بعض الأفراد أو المؤسسات التعليمية أو المراكز البحثية أو المواقع الخيرية الإسلامية. ورغم توفر أجهزة القرآن (Penman) التي تقرأ وتترجم وتفسر، وكذلك القلم الإلكتروني لقراءة القرآن، وبعض المواقع التي تهتم بعلوم القرآن، أمثال:

١- مركز الدراسات القرآنية، التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - www.qurancomplex.com

٢- مركز الدراسات والمعلومات القرآنية- معهد الإمام الشاطبي - www.qsc.org.sa

٣- ملتقى أهل التفسير - www.Tafsir.net

٤- المعهد العالي للقراءات والدراسات القرآنية- في جامعة العلوم الإسلامية العالمية - www.wise.edu.jo

٥- كتاب الله- د. راتب السمان - www.kitabuallah.com

٦- الإعجاز العددي في القرآن- أ.يحيى السقاف - www.alargam.com

٧- طريق القرآن - www.quranway.net

٨- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - www.quran-m.com

٩- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة العالم الإسلامي - www.eajaz.org

١٠- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- عبد الدائم الكحيل - www.kaheel7.com

١١- موقع الدكتور: زغلول النجار - www.elnaggarzr.com

١٢- نون للدراسات القرآنية- م. بسام جرار - www.Islamnoon.com

والباب مفتوح على مصراعيْه أمام الناشرين؛ الذين يملكون المحتوى المختزَن في كتبهم الورقية، الذي يمكن أن يشكل نواةً واعدةً لنشر إلكتروني؛ ما إن تطرقْ أبوابه حتى يفتح لها ذراعيْه، ويضعَ إمكاناته في خدمتها، ويأخذ بأيديها إلى آفاق بعيدة لم تكن تحلم بها أو تتصورها.

فإذا نحن أخذنا المكتبة القرآنية لدار الفكر؛ نموذجاً للناشر، بكل ما تحتويه من تفاسير موجزة ومتوسطة ومطولة، ومن معاجم للكلمات والمعاني، ودراساتٍ منوعة لعلوم القرآن كالترادف والتشابه والتضاد، وأطالس تتضمن صوراً وخرائط للأماكن والوقائع الواردة فيه.. أدركنا حجم النواة الإلكترونية التي تمتلكها.

ولنأخذ سورة آل عمران مثالاً، فقد تناولت السورة أحداث معركتي بدر وأحد في نحو ستين آية منها، وكم يكون من الملائم تقديم هذه الأحداث مسرودة من كتابها (فقه السيرة النبوية) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ومصورة من أطالسها للقرآن الكريم والسيرة النبوية للدكتور شوقي أبو خليل، إضافة إلى تفاسيرها الموجزة والمطولة من الدكتور وهبة الزحيلي، وربما يكون ذلك مدعاةً لتقديم هذا المحتوى كله في فيلم يثبِّت أحداث المعركتين والعبر المستفادة منهما في ذهن القارئ.

الملحق الأول

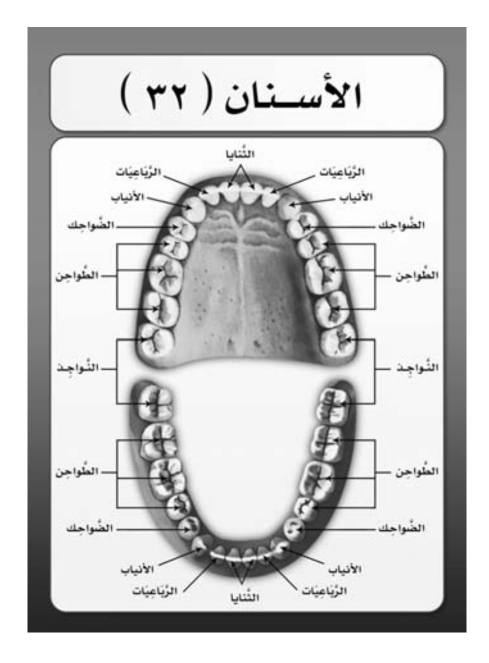
قائمة تبين صفات الحروف

الحرف	صفات لها ضد					الصفات التي لا ضد لها	
	جهر و همس	شدة بينية رخاوة	استعلاء و استفال	إطباق و انفتاح	إصمات و إذلاق		خفاء في المد
أ	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		خفاء في المد
ب	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ت	همس	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		
ث	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ج	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ح	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		خ
خ	همس	رخاوة	استعلاء	انفتاح	إصمات		
د	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ذ	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ر	جهر	بينية	حالات	انفتاح	إذلاق	انحراف	تكرير
ز	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	صفير	
س	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	صفير	
ش	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ص	همس	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات	صفير	
ض	جهر	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات	استطالة	
ط	جهر	شدة	استعلاء	إطباق	إصمات	قلقلة	
ظ	جهر	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات		
ع	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إصمات		
غ	جهر	رخاوة	استعلاء	انفتاح	إصمات		

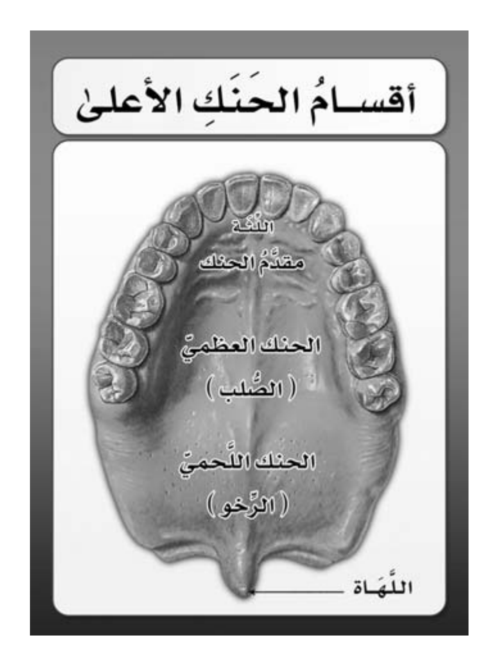
الحرف	صفات لها ضد					الصفات التي لا ضد لها	
	جهر و همس	شدة بينية رخاوة	استعلاء و استفال	إطباق و انفتاح	إصمات و إذلاق		خفاء في المد
ف	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إذلاق		
ق	جهر	شدة	استعلاء	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ك	همس	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		
ل	جهر	بينية	حالات	انفتاح	إذلاق	انحراف	
م	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إذلاق	انحراف	
ن	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إذلاق	غنّة	
هـ	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	خفاء	
و	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	لين	خفاء في المد
ي	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	لين	خفاء في المد

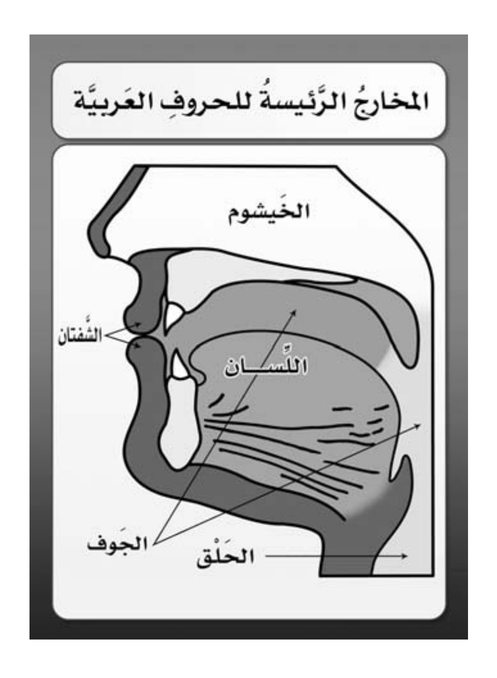
الملحق الثاني

صور تبين مخارج الحروف


الأســنان (٣٢)
الثّنايا
الرَّباعِيات
الرَّباعِيات
الأنياب
الأنياب
الضّواحِك
الضّواحِك
الطّواحِن
الطّواحِن
النّواجِذ
النّواجِذ
الطّواحِن
الطّواحِن
الضّواحِك
الضّواحِك
الأنياب
الأنياب
الرَّباعِيات
الرَّباعِيات
الثّنايا


أقســامُ اللِّسـان
أقصى الحافّة
أقصى اللِّسان
حافّة اللِّسان
وسط اللِّسان
أدنى الحافّة
طرف اللِّسان
منتهى الحافّة
راس اللِّسان


أقســامُ الحَنَكِ الأعلى
اللّثة
مقدَّمُ الحنك
الحنك العظميّ
(الصُّلب)
الحنك اللَّحميّ
(الرِّخو)
اللَّهَـاة


المخارجُ الرَّئيسةُ للحروفِ العَربيَّة
الخَيشوم
الشَّفتان
اللِّســان
الجَوف
الحَلْق


أوَّلًا الجَوف : هو خَلاءُ الحلقِ والفمِ
ويخرجُ منه حروف المدِّ الثَّلاثة
الألف المدِّيَّة

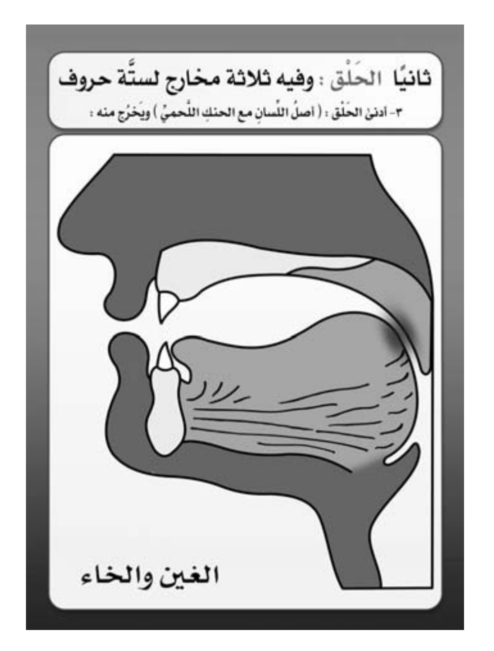

أوَّلًا الجَوف : هو خَلاءُ الحلقِ والفمِ
ويخرجُ منه حروف المدِّ الثَّلاثة
الواو المدِّيَّة


أوَّلًا الجَوف : هو خَلاءُ الحلقِ والفمِ
ويخرجُ منه حروف المدِّ الثَّلاثة
الياء المدِّيَّة


ثانيًا الحَلْق : وفيه ثلاثة مخارج لستَّة حروف
١- أقصىٰ الحَلْق : (منطقة الأوتارِ الصَّوتيَّة) ويَخرُج منه :
الهمزة
الهاء
الهمزة (بانطباقِ الوَتَرينِ الصَّوتيَّين) والهاء (بانفتاحِهما قليلًا)




ثانيًا الحَلْق : وفيه ثلاثة مخارج لستَّة حروف
٢- وسط الحَلْق : (منطقة لسانِ المِزمار مع الجدارِ الخلفيِّ للحَلْق) ويَخرُج منه :
العين والحاء


ثانيًا الحَلْق : وفيه ثلاثة مخارج لستَّة حروف
٣- أدنى الحَلْق : (أصلُ اللِّسانِ مع الحنكِ اللَّحميِّ) ويَخرُج منه :
الغين والخاء


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
١- أقصىٰ اللِّسانِ مع ما يقابله من الحنكِ اللَّحميِّ مخرج :
القاف


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٢- أقصىٰ اللِّسان مع ما يقابله من الحنك اللَّحميِّ والعظميِّ مخرج :
الكاف


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٣- وسط اللِّسان مع ما يقابلُه من وسطِ الحنكِ الأعلىٰ مَخرج :
الجيم


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٣- وسط اللِّسان مع ما يقابلُه من وسطِ الحنكِ الأعلىٰ مَخرج :
الشِّين


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٣- وسط اللِّسان مع ما يقابلُه من وسطِ الحنكِ الأعلىٰ مَخرج :
الياء غير المدِّيَّة


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٤- إحدىٰ حافَّتي اللِّسانِ أو هما معًا مع ما يقابلُها من الأضراس العُليا مخرج :
الضَّاد


٩٩


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٤- إحدىٰ حافَّتي اللِّسانِ أو هما معًا مع ما يقابلُها من الأضراس العُليا مخرج :
الضَّاد
الحنك الأعلىٰ
منطقة الضَّغطِ والإتِّكاء
منطقة التَّلامُس


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٥- أدنىٰ حافَّتي اللِّسانِ إلىٰ منتهىٰ طَرَفِه مع ما يقابلُها من الحنك الأعلىٰ مخرج :
اللَّام


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٦- طَرَف اللِّسان مع ما يقابلُه من الحنك الأعلىٰ ويصاحبه غُنَّة من الخيشوم مخرج :
النُّون


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٧- طَرَف اللِّسان مع ما يقابلُه من الحنك الأعلىٰ مخرج :
الرَّاء المرقَّقة


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٧- طَرَف اللِّسان مع ما يقابِلُه من الحنك الأعلىٰ مخرج :
الرَّاء المفخَّمة

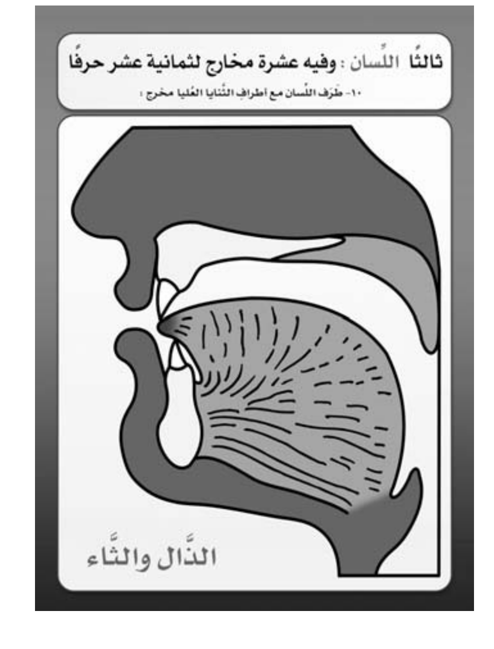

ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٨- طَرَف اللِّسان مع أصول الثَّنايا العُليا مخرج :
الطَّاء


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٨- طَرَف اللِّسان مع أصول الثَّنايا العُليا مخرج :
الدَّال والتَّاء


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٩- طَرَف اللِّسان مع ما فوق الثَّنايا السُّفلىٰ مخرج :
الصَّاد


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
٩- طَرَف اللِّسان مع ما فوق الثَّنايا السُّفلى مخرج :
السِّين والزَّاي


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
١٠- طَرَف اللِّسان مع أطرافِ الثَّنايا العُليا مخرج :
الظَّاء


ثالثًا اللِّسان : وفيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا
١٠- طَرَف اللِّسان مع أطرافِ الثَّنايا العُليا مخرج :
الذَّال والثَّاء


رابعًا الشَّفتان : وفيهما مَخرجان
١- باطن الشَّفة السفلى مع أطراف الثَّنايا العُليا مخرج :
الفاء



رابعًا الشَّفتان : وفيهما مَخرجان
٢- من الشَّفَتَين معًا مخرج :
الواو
تَخرجُ باستِدارةِ الشَّفتَين مع ارتفاعِ أقصىٰ اللِّسان



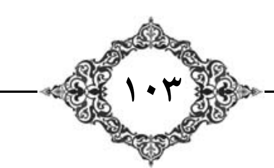
رابعًا الشَّفتان : وفيهما مَخرجان
٢- من الشَّفَتَين معًا مخرج :
الميم
تَخرجُ بانطباقِ الشَّفتَينِ ويُصاحبُها غُنَّةٌ مِن الخَيشوم



رابعًا الشَّفتان : وفيهما مَخرجان
٢- من الشَّفَتَين معًا مخرج :
الباء
تَخرجُ بانطباقِ الشَّفتَينِ علىٰ بعضهما



خامسًا الخَيشوم : مخرجُ الغنَّة وتكون تابعة
للنُّون والميم في كافَّةِ أحوالِهما
النُّون




خامسًا الخَيشوم : مخرجُ الغنَّة وتكون تابعة
للنُّون والميم في كافَّةِ أحوالِهما
الميم

الملحق الثالث

التفاسير والمفسرون

التفاسير والمفسرون*

١- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد؛ سهل بن عبد الله التستري، المتوفى سنة **٢٨٣هـ**. مطبوع في مجلد واحد صغير الحجم.
فسَّر آيات متفرقة من القرآن الكريم، ولم يستوعبه. ينتمي إلى مدرسة **التفسير الصوفي** لتزكية النفوس.

٢- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر؛ محمد بن جرير الطبري، المتوفى ببغداد سنة **٣١٠هـ** مطبوع في **٣٠** مجلداً.
يعد التفسير الأول الجامع لسور القرآن، ويمثل الروح العلمية السائدة في عصره.
وهو يصنف في مدرسة **التفسير بالمأثور**، على الرغم من عنايته بالنظر العقلي، والاستنباط من الآيات، وموازنته بين الآراء المتعددة في تفسيرها عند وجودها، وترجيح بعضها على بعض عند اختلافها، ونقد سندها إن بدا له رأي فيه.
وهو مرجع أساسي للمفسرين من سائر المدارس.

٣- إعراب القرآن: لأبي جعفر: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس؛ توفي سنة **٣٣٨هـ**.

٤- أحكام القرآن، للجصاص: أبي بكر؛ أحمد بن علي الرازي، المتوفى سنة **٣٧٠هـ**.
يصنف في مدرسة **التفسير الفقهي**؛ متعصب للمذهب الحنفي.

---

* التفاسير مرتبة حسب وفيات المفسرين، ونبذة عن كل منها، والمدرسة التي ينتمي إليها.

٥- متشابه القرآن: للقاضي عبد الجبار الهمداني، المتوفى سنة **٤١٥**هـ.
وهو من أهم **كتب المعتزلة** التي فسر فيها القرآن بحسب ترتيب سوره في المصحف، مؤكداً آراء المعتزلة في آياته المحكمة والمتشابهة.

٦- أمالي الشريف المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد؛ لأبي القاسم؛ علي بن الطاهر؛ يصل نسبه إلى الحسين بن علي؛ توفي سنة **٤٣٦**هـ.
وهو **شيخ الشيعة**، وكان مع تشيعه معتزلياً، وتفسيره يقتصر على آيات من القرآن تدور حول مذهبه. ويندرج تفسيره في **مدرسة أهل الرأي**.

٧- أحكام القرآن للبيهقي: أحمد بن الحسيني؛ المتوفى سنة **٤٥٨**هـ.
أورد فيه تفسير الإمام الشافعي لآيات الأحكام، دون التزام بترتيبها في المصحف. ويصنف تفسيره في **مدرسة أهل الفقه**.

٨- أحكام القرآن للكيا الهراسي: عماد الدين، علي بن محمد بن علي الطبري؛ المتوفى سنة **٥٠٤**هـ.
من أهم كتب التفسير الفقهي عند الشافعية، متعصب لمذهبه، قوي في بيانه مع عفة بلسانه. ويصنف تفسيره في **مدرسة أهل الفقه**.

٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري أبي القاسم؛ محمود بن عمر الخوارزمي، المتوفى سنة **٥٣٨**هـ.
وضح في تفسيره وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن؛ واهتم بالإعراب، وبالفقه في آيات الأحكام، وأيد عقائد المعتزلة في تفسيره.
ويأتي تفسيره في قمة كتب **التفسير بالرأي**.

١٠- مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل؛ المتوفى سنة **٥٣٨**هـ.
أفاض في تفسيره بالجوانب اللغوية، وأوجه الإعراب، وأسباب



النزول، والشرح الإجمالي للآيات، وخاصة آيات الأحكام؛ يستعرض فيها مذاهب الفقهاء، وينتصر لمذهبه الاعتزالي فيها، ليصنف في مدرسة **التفسير بالرأي**.

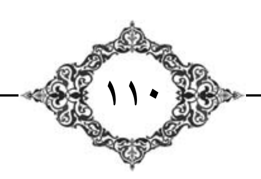
١١- أحكام القرآن لابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري؛ المتوفى سنة **٥٤٣**هـ.
وتفسيره مرتب على سور القرآن، يذكر الأحكام الفقهية الواردة فيها، والأحاديث الموثقة التي تؤيدها، وينتصر لمذهبه المالكي، ليصنف في **مدرسة التفسير الفقهي**.

١٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ المتوفى سنة **٥٤٦**هـ.
تلخيص وتنقيح لما سبقه من التفاسير، متداول بين أهل المغرب والأندلس، من مدرسة التفسير بالمأثور.

١٣- إيجاز البيان في معاني القرآن للنيسابوري: أبي القاسم؛ محمود بن أبي الحسن بن الحسين، المتوفى نحو **٥٥٠**هـ.

١٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي الملقب بفخر الدين الرازي، المتوفى سنة **٦٠٦**هـ.
توسع في تفسيره بعلم الكلام، ورد على المعتزلة والفلاسفة، وانتصر لمذهب أهل السنة في العقيدة، وذكر مذاهب الفقهاء في آيات الأحكام، وأبحر في الإشارات القرآنية للظواهر القرآنية. يصنف في **مدرسة أهل الرأي**.

١٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة **٦٧١**هـ.
تجنب في تفسيره الإسرائيليات وأخبار المؤرخين، وفندها أحياناً، وردّ



على الفلاسفة، وبين أسباب النزول، وفصل في القراءات وفي الإعراب واللغات وغريب الألفاظ، وخرج الأحاديث، وذكر الأحكام الفقهية في الآيات؛ دون تعصب لمذهبه المالكي، يعد من أجلِّ التفاسير، وأكثرها نفعاً، ويصنف في **مدرسة أهل الرأي**.

١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: أبو محمد، عبد الله بن محمد، المتوفى سنة ٦٨٥هـ.

نهل البيضاوي في تفسيره من كشاف الزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، وأعمل عقله في آيات الكون والطبيعة، وتعرض باختصار لقواعد النحو والقراءات وبعض المباحث الفقهية على مذهبه الشافعي، وشيء من علم الكلام وهو يصنف في **مدرسة أهل الرأي**.

١٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، المتوفى سنة ٧٠١هـ.

اختصره من الكشاف وأنوار التنزيل، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة، وعلى المذهب الحنفي في الفقه، ولم يتوسع كثيراً في الجوانب اللغوية والإسرائيليات، فكان تفسيراً وسطاً ويصنف في **مدرسة أهل الرأي**.

١٨- لباب التأويل في معاني التنزيل للشيحي، وهو علاء الدين أبو الحسن؛ علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، المتوفى سنة ٧٤١هـ.

مختصر من معالم التنزيل للبغوي، أضاف إليه ما اختاره من تفاسير المتقدمين، وفيه الكثير من الأخبار السالفة والإسرائيليات، ومن الفروع الفقهية المقحمة، ومن المواعظ والرقائق.

ويصنف في **مدرسة التفسير بالمأثور**، على الرغم من شططه خارج علم التفسير.

١٩- البحر المحيط لأبي حيان؛ أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن حيان؛ الأندلسي، الشافعي. المتوفى سنة **٧٤٥**هـ.
غلب على تفسيره الجانب النحوي، وبيان أوجه الإعراب، دون أن يهمل الجوانب الأخرى من أسباب النزول، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، والأحكام الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام. وهو مصنف كذلك في **مدرسة أهل الرأي**.

٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، البصري ثم الدمشقي الشافعي. المتوفى سنة **٧٧٤**هـ.
عني بتفسير القرآن بالقرآن، ثم بأحاديث النبي وأقوال الصحابة والتابعين؛ مع النقد البصير لما ينقله عنهم، وتجنب الإسرائيليات المنكرة، كما اهتم بشرح الجوانب الفقهية في آيات الأحكام، ويعد من أشهر كتب **التفسير بالمأثور**، بعد تفسير ابن جرير الطبري.

٢١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ للنيسابوري، نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني. المتوفى بعد **٨٥٠**هـ.
اختصر تفسيره من التفسير الكبير للفخر الرازي، ومن الكشاف، بتصرف يتدارك به ما يقع عليه من خطأ أو نقص، وتفرد في تفسيره بمنهجية التزم فيها بالبدء بذكر الآيات القرآنية، ثم القراءات الواردة فيها، ثم الوقوف، ثم المناسبات وأسباب النزول، ثم المعاني، وتأويل المتشابهات، والجوانب البلاغية ثم الفقهية، وينتصر في المسائل الكلامية لأهل السنة، وكثيراً ما يستطرد عند آيات المواعظ لنزعته الصوفية. فهو لذلك يندرج في **مدرسة التفسير بالرأي**.

٢٢- تفسير الجلالين
لجلال الدين: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحَلي الشافعي المتوفى سنة **٨٦٤**هـ.

ولجلال الدين: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي. المتوفى سنة ٩١١هـ.
قام الجلال المحلي الشافعي بتفسير القرآن الكريم من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، معتمداً على أرجح الأقوال، مع إعراب لبعض الآيات وتنبيه على القراءات المختلفة عند الحاجة، وجيز متجنب الإطالة.
فقام الجلال السيوطي بإتمام ما بدأه المحلي من التفسير. بدءاً من الفاتحة وحتى سورة الإسراء، بطريقته وعلى منهجه. ويندرج تفسير الجلالين في مدرسة التفسير بالرأي.

٢٣- تفسير السراج المنير/ الخطيب الشربيني / ت ٩٧٧هـ، المنهج الفقهي في التفسير.

٢٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / أبو السعود / محمد بن محمد بن مصطفى العمادي - الحنفي / ت ٩٨٢هـ مهتم بالإعجاز البلاغي مع التعرض لبعض المسائل الفقهية.

٢٥- روح البيان / إسماعيل حقي البروسوي [دار الفكر - بيروت] / ت ١١٣٧هـ؛ تفسير صوفي.

٢٦- الفتوحات الإلهية على الجلالين/ سليمان بن عمر الشهير بالجمل / ت ١٢٠٤هـ

٢٧- فتح القدير / محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني / ت ١٢٥٠هـ / جمع بين التفسير بالدراية والتفسير بالرواية، ونقل عن السلف، ويحتكم إلى اللغة كثيراً ويعرض لمذاهب العلماء الفقهية.

٢٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود بن عبد الله الآلوسي / ت١٢٧٠هـ / موسوعة تفسيرية قيمة تناولت عدة وجوه: الكوني والإشاري واللغوي / ملخص لما سبق من التفاسير.

٢٩- محاسن التأويل/ جمال الدين القاسمي / ت ١٣٣٢هـ.

٣٠- هميان الزاد إلى دار المعاد / محمد بن يوسف بن عيسى بن إطفيش الوهبي/ ت ١٣٣٢هـ / أهم مراجع التفسير عند الإباضية؛ استمده من كتب المفسرين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم.

٣١- تفسير المنار / محمد عبده - محمد رشيد رضا المتوفى ١٣٥٤هـ.

٣٢- الجواهر في تفسير القرآن العظيم / طنطاوي جوهري / ت ١٣٥٨هـ / مزج الآيات القرآنية بالعجائب الكونية واشتط فيها.

٣٣- في ظلال القرآن/ سيد قطب / ت ١٣٨٧هـ.

٣٤- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور / ت١٣٩٣هـ

٣٥- إعراب القرآن وبيانه / محيي الدين درويش / ت ١٤٠٣هـ.

٣٦- التفسير الحديث ١٢ جزءاً / محمد عزة دروزة / ت ١٤٠٤هـ / رتبه على تاريخ النزول، مما يعين على فهم أطوار التنزيل ومراحله.

٣٧- تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم) محمد متولي شعراوي / ت ١٤١٩هـ.

٣٨- صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني / ت ١٤٣٦هـ.

٣٩- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / محمد علي الصابوني / ت١٤٣٦هـ.

٤٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / وهبة الزحيلي / ت ١٤٣٦هـ. موسوعة شاملة في تفسير القرآن.
تقع في ١٨ مجلداً؛ جمعت بين أصالة علم التفسير، وروح العصر الجديد ومتطلباته، وغطت كل الجوانب اللغوية والعقدية والفقهية

وأسباب النزول، وتجنبت الإسرائيليات والروايات الشاذة، وأُلحقت بها فهارس موضوعية شاملة.

٤١- إعراب القرآن لغة وإعجازاً وبلاغة وتفسيراً بإيجاز / بهجت عبد الواحد الشيخلي.

٤٢- منهجية البحث في التفسير الموضوعي / زياد الدعامين.

٤٣- مباحث في التفسير الموضوعي/ مصطفى مسلم.

٤٤- روح القرآن الكريم / عفيف طبارة.

٤٥- تفسير القرآن الكريم: إعرابه وبيانه / محمد علي طه الدرة.

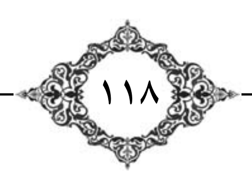
المصادر والمراجع

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني: د. محمد نور الدين المنجد. دار الفكر دمشق- ط١/ ٢٠١٠م.
- أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي: د. محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام- القاهرة، ط١/ ٢٠٠٩م.
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط١/ ١٩٩٩م.
- إعجاز رسم القرآن، وإعجاز التلاوة: محمد شحلول، تقديم علي جمعة، دار السلام- القاهرة- ط٣/ ٢٠١٠م.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، دار الفكر - بيروت ط٢٠٠٥م.
- تاريخ توثيق نص القرآن الكريم: خالد عبد الرحمن العك، دار الفكر، دمشق ط٢/ ١٩٨٦م.
- التبيان في آداب حملة القرآن: الإمام يحيى بن شرف النووي- دار السلام- القاهرة- ط٥/ ٢٠٠٨م.
- الترادف في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط٢/ ٢٠٠٧م.
- التربية بالقصة: عبد الرحمن النحلاوي: دار الفكر بدمشق، ط ٢٠٠٨م.



- التضاد في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط٢٠٠٧م.
- تفسير ابن عباس (تنوير المقباس) للفيروز آبادي، دار الفكر بيروت.
- تفسير ابن كثير، دار الفكر بيروت، ط٢٠٠٩م.
- تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر بيروت ط٢٠٠٥م.
- تفسير الخازن، وبهامشه البغوي، دار الفكر بيروت ط ١٩٧٩م.
- تفسير (الدر المنثور) للسيوطي، دار الفكر بيروت.
- تفسير (روح البيان) للبروسوي، دار الفكر بيروت،ط ١/ ٢٠٠٦م.
- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، دار الفكر بيروت، ط٢٠١٠م.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، دار الفكر بيروت
- تفسير (الفتوحات الإلهية) للجمل، دار الفكر بيروت، ط٢٠٠٩م.
- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر بيروت، ط ١/ ٢٠٠٥م.
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، دار الفكر بيروت، ط١/ ٢٠٠٥م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الفكر بيروت ط١.
- تفسير (الكشاف) للزمخشري، دار الفكر بيروت ط ٢٠٠٦م.
- التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي، موقع التفاسير www.altafsir.com
- التكميل والإتمام: ابن عسكر، تحقيق حسن مروة؛ دار الفكر، ط١/ ١٩٩٧م.
- خلاصة ما في صريح النص: محمد هيثم منيني، دار الفكر دمشق، ط١/ ١٩٩٦م.

- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان وفايز الداية، دار الفكر دمشق ط١/ ٢٠٠٧م.
- رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية): غانم قدوري الحمد.
- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، دار الفكر دمشق - ط١٠/ ٢٠١٢م.
- العادة الثامنة: ستيفن كوفي، دار الفكر دمشق- ط٦/ ٢٠١٢م.
- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي:د. محمود أحمد الصغير، دار الفكر بدمشق ط١/ ١٩٩٩م.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش، دار الفكر دمشق، ط١/ ١٩٩٩م.
- كتاب الأوسط في علم القراءات: للإمام الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني،تحقيق عزة حسن، دار الفكر دمشق، ط١/ ٢٠٠٦م.
- المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الداني، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر دمشق، ط٢/ ١٩٩٧م.
- المخطوط العربي، دراسة في أبعاد الزمان والمكان: إياد خالد الطباع، وزارة الثقافة: الهيئة العامة السورية للكتاب، ط١/ ٢٠١٠م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، ط ٢٠٠٧م.
- معجم كلمات القرآن العظيم: محمد عدنان سالم ومحمد وهبي سليمان. دار الفكر دمشق -ط١/ ١٩٩٧م.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم: محمد بسام الزين ومحمد عدنان سالم ط٣/ ٢٠١٠م.



- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: أبو عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان- دار الفكر بدمشق- ط١/ ١٩٨٣م.
- ملاحن القراء: للقاضي بن حامني، تحقيق محمد عبد الله بن عمر؛ دار الفكر، بيروت.
- الملخص المفيد في علم التجويد: محمد أحمد معبد؛ دار السلام، القاهرة ط١٣/ ٢٠١٠م.
- نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم: د. أحمد سيد محمد عمار، دار الفكر دمشق ط١/ ١٩٩٨م.

مستخلص

أصل هذا الكتاب ؛ بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه ، المنعقد في فاس .

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب ؛ تتصدرها مقدمات مهمّة ؛ عن قراءة القرآن الصحيحة ، وعن كون القرآن عربياً لأمة مسلمة ، وعن الدراسات القرآنية ومستقبلها في عصر المعرفة ، وعن خدمات النشر المستقبلية في حقل القرآن الكريم .

تناول المؤلف في الباب الأول موضوع خدمة النص القرآني من جوانب مختلفة ؛ تتعلق بالرسم، والقراءات المتواترة ، والتلاوة ، والحفظ في الصدور ، ومنهج تعليم القرآن للأطفال.

وتعرض في الباب الثاني إلى خدمة علوم القرآن الكريم ، فتحدث عن معاجم معاني القرآن ، وكتب التجويد ، وعلم اللسانيات ، وختم الباب بالإعجاز القرآني.

وتناول في الباب الثالث موضوعاً جديداً ، هو خدمة النشر الإلكتروني الشامل للنص القرآني وعلومه ؛ في مرحلة معاصرة ناقش فيها البرمجيات الرقمية ، والنص المتفرع ، وقدم المؤلف رؤيته لهذا الموضوع من باب خبرته الطويلة في النشر.

وختم المؤلف كتابه بملاحق، فقدم في الملحق الأول قائمة تبين صفات الحروف، ثم في الملحق الثاني أثبت صوراً تبين مخارج الحروف من جهاز النطق ، وفي الملحق الأخير ذكر ثبتاً بأهم كتب التفسير ومدارسها..

Abstract

The origin of this book is a research presented at the Second World Congress of the Researchers in the Holy Qur'an and its Sciences held in Fez.

The book is divided into three sections, initiated by significant introductions on the correct reading of the Qur'an, whether the Qur'an is an Arabic Scripture particularly for an Arab Muslim nation, on the Quranic studies and their future in the age of knowledge and on the future publishing services in the field of the Qur'an.

In Section I, the author tackles the subject of servicing the Qur'anic text from different aspects, concerning the calligraphy, recurrent readings, recitation, preservation in breasts and the method of teaching the Qur'an to children.

In Section II, he tackles the service of the Holy Quran Sciences, talking about the concordances of the meanings of the Holy Qur'an, the books of Qur'anic recitation, and linguistics, and he concludes the section with the Quranic inimitability.

In Section III, he handles a new theme. It is the service of a comprehensive electronic publication of the Qur'anic text and its sciences in a contemporary stage. He discusses the digital software and the ramified text and gives his own point of view on this topic in terms of his long experience in publishing.

The author concludes the book with Appendixes. In Appendix I, he introduces a list showing the qualities of the characters. In Appendix II, he sets photographs showing the exits of letters in the speech system. In the last appendix, he mentions a bibliography of the most important books of interpretation and their schools.